الحـــب

حب الله ـ عز وجل ـ :

حب الله عز وجلَّ هو الذي لابد أن يتنافس فيه المتنافسون ، ويتسابق عليه المتسابقون ، ويشخص إليه عمل العاملون ، فهو قوت القلوب ، وغذاء الأرواح ، وقرة العيون ، وهو الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات ، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات ، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام ، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام ، كيف لا وهو الذي يوصلهم إلى درجات لم يكونوا أبداً بالغيها ، تا الله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة ؛ فقد قضى الله يوم قدر مقادير الخلائق بفضله أن « **الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ** »(١) ، فيالها من نعمة على المحبين سابغة .

لما علم الناس عظم فضلها كثر المدَّعون لها فطولبوا بإقامة البينة ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ [آل عمران : ٣١] ، فتأخر الناس كلهم وثبت أتباع الحبيب ـ ﷺ ـ في أفعاله وأقواله وأخلاقه، فطولبوا بتزكية : ﴿ **يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ** ﴾ [المائدة: ٥٤]، فتأخر أكثر المحبين وثبت المجاهدون فقيل لهم إن نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم فهلموا إلى بيعة : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١)** ﴾ [التوبة : ١١١] .

فلما عرفوا عظمة المشتري ، وفضل الثمن ، وجلالة من جرى على يديه عقد

---

(١) متفق عليه.

التبايع ، عرفوا قدر السلعة وأن لها شأناً ، فعقلوا أن لا يبيعوها لغيره بثمن بخس ، فعقدوا معه بيعة الرضوان بالتراضي ، وقالو كما قال من سبقهم ليلحقوا بهم : « والله لا نقيلك ولا نستقيلك » ، فلما تم العقد وسلموا المبيع قيل لهم : منذ صارت نفوسكم وأموالكم لنا رددناها عليكم أوفر ما كانت وأضعافها معها ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١) ﴾ [عمران : ١٦٩ - ١٧١] .

والحبُّ هو ميل القلب بكليته إلى المحبوب وإيثاره على غيره ، وحب الله ـ عز وجلَّ ـ هو ذلك الميل الذي يحمل العبد على طاعة الله ـ عز وجلَّ ـ وتعظيمه وإيثاره على ما سواه ، وكلما كان الميل والإيثار أقوى كانت الطاعة أتم والتعظيم أوفر ، وهذا الميل والإيثار يلازمان الإيمان ، بل هما روح الإيمان ولبّه ، فأي شيء يكون أعلى من أن يكون الله ـ سبحانه ـ أحب الأشياء إلى العبد وأولاه بالتعظيم وأحقه بالطاعة ؟ (١) .

ومحبة الله ـ سبحانه وتعالى ـ على درجتين :

إحداهما : فرض لازم ، وهي أن يُحب العبد الله ـ سبحانه وتعالى ـ محبة تجعله يحب ما فرضه الله عليه ويبغض ما حرمه عليه ، ويحب رسوله ـ ﷺ ـ المبلغ عنه أمره ونهيه،وتقديم محبة الله ورسوله على النفوس والأهلين ، والرضا والتسليم بكل ما بلَّغه رسوله عن الله من الدين ، ومحبة الأنبياء والرسل والمتبعين لهم بإحسان أجمعين ، لله ـ عز وجلَّ ـ،وبغض الكفار والفجار أجمعين، لله ـ عز وجلَّ ـ، وهذا القدر لابد منه في تمام الإيمان الواجب ، ومن أخل بشيء منه فقد نقص من

---

(١) مدارج السالكين.

إيمانه الواجب بحسب ذلك ، وكذلك ينقص من محبته الواجبة بحسب ما أخل به من ذلك ، فإن المحبة الواجبة تقتضى فعل الواجبات وترك المحرمات ، وهذه درجة المقتصدين أصحاب اليمين .

الثانية : درجة السابقين المقربين ، وهى أن ترتقي المحبة إلى محبة ما يحبه الله ـ عز وجلَّ ـ من نوافل الطاعات وكراهة ما يكرهه من دقائق المكروهات والرضا بما يقدره ويقضيه مما يؤلم النفوس من المصائب، وهذا فضل مستحب مندوب إليه ، وقد يقع المحب أحياناً في تفريط في بعض المأمورات وارتكاب لبعض المحظورات ثم يرجع تائباً إلى ربه لائماً نفسه وينزع عن ذلك ، ففي البخاري « أن رجلاً كان يؤتى به إلى النبي ـ ﷺ ـ قد شرب الخمر، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : اللَّهُمَّ الْعَنْهُ،ما أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى به ، فَقَالَ النَّبىُّ ـ ﷺ ـ :**لاَ تَلْعَنُوهُ ، فَوَاللَّه مَا عَلِمْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** » ، فالله تعالى إذا أحب عبداً وقدَّر عليه بعض الذنوب فإنه بفضله يُقدر له الخلاص منها بما يمحوها من توبة أو عمل صالح أو مصائب مكفرة ....، والمحبة الصادقة تمنع الإصرار على الذنوب والاستحياء من الله علام الغيوب ـ جلَّ وعلا ـ .

وفي الصحيحين عن أنس ـ رضي الله عنه ـ « أن رجلاً سأل النبي ـ ﷺ ـ فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللَّه مَتَى السَّاعَةُ؟، قَالَ رَسُولُ اللَّه ـ ﷺ ـ : مَا أَعْدَدْتَ لَهَا ؟، قَالَ: فَكَأَنَّ الرَّجُلَ اسْتَكَانَ ، ثُمَّ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّه مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صَلاَةٍ وَلاَ صِيَامٍ وَلاَ صَدَقَةٍ وَلَكِنِّى أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، قَالَ : **فَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ** » ، وفى رواية للبخاري « فَقُلْنَا وَنَحْنُ كَذَلكَ ، قَالَ : نَعَمْ ، فَفَرِحْنَا يَوْمَئذ فَرَحاً شَديداً » وفى رواية لمسلم « قَالَ أَنَسٌ فَمَا فَرِحْنَا بَعْدَ الإِسْلاَمِ فَرَحاً أَشَدَّ مِنْ قَوْلِ النَّبِىِّ ـ ﷺ « **فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ** » قَالَ أَنَسٌ : فَأَنَا أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ .

ومحبة الله الواجبة تستلزم امتثال طاعته واجتناب معصيته ، ومحبة رسوله ـ ﷺ ـ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان، فالمحبة الصحيحة لهم تقتضى

مشاركتهم في أصل عملهم ، وإن عجز عن بلوغ غايته ، كما قال أنس - رضي الله عنه - ولهذا قال السائل للنبي - ﷺ - : « **مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صَلاَةٍ وَلاَ صِيَامٍ وَلاَ صَدَقَةٍ** » فدلَّ على أنه قد أتى من ذلك بما وجب عليه ولم يأت بأزيد من ذلك[١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله رحمة واسعة - : إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة ، وهي محبة الله - عز وجلَّ - ومعرفته ودوام ذكره ، والسكون والطمأنينة إليه ، وإفراده بالحب والخوف والرجاء والتوكل والمعاملة، بحيث يكون هو وحده المقصود بهموم العبد وعزماته وإيراداته ، وهي جنة ونعيم لا يشبهه نعيم ، وهي قرة عين المحبين وحياة العارفين .

وفي الأثر : " طال شوق الأبرار إلى لقاءي وأنا إلى لقائهم أشوق " وقد قال الله - تبارك تعالى - : ﴿ **مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ⑤ ﴾ [العنكبوت : ٥] ، قال بعضهم لمَّا علم الله - جلَّ وعلا - شوق المحبين للقائه ضرب لهم موعداً للقائه عن قريب تسكن به قلوبهم ، فكل آت قريب .

وقال الله - تبارك وتعالى - : ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ** ﴾ [البقرة : ١٦٥]، وأخبر - سبحانه وتعالى - عن صفاتهم فقال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [المائدة : ٥٤] .

وإذا غُرست شجرة المحبة في القلب ، وسُقيت بماء الإخلاص ، ومتابعة الحبيب - ﷺ - أثمرت أنواع الثمار وآتت أكلها كل حين بإذن ربها ، أصلها ثابت في قرار القلب وفرعها متصل بسدرة المنتهى ، قال الله - تبارك وتعالى - : ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ** ㉔

---

(١) استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس.

تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناسِ لعلهم يتذكرون (٢٥) ﴾ .

[إبراهيم : ٢٤-٢٥] .

الأسباب التي تستجلب بها محبة الله ـ سبحانه وتعالى ـ :

اعلم ـ أخي الحبيب ـ أن أسعد الخلق حالاً في الآخرة أقواهم حباً لله . تبارك وتعالى ـ ، ففي الآخرة القدوم على الله ـ تبارك وتعالى ـ ودرك سعادة لقائه ، وما أعظم نعيم المحب إذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من دوام مشاهدته أبد الآباد من غير منغص ولا مكدر، ومن غير رقيب ومزاحم ولا خوف انقطاع ، وهذا النعيم على قدر قوة الحب ، فكلما ازدادت المحبة ازدادت اللذة [١] .

ومن الأسباب الآتي :

[١] معرفة إحسان الله ونعمه الظاهرة والباطنة على عباده ، فقد جُبلت القلوب على حب من أحسن إليها ، وإذا كان ذلك فالعجب ممن لا يرى محسناً غير الله عز وجلَّ ـ في كل شيء كيف لا يميل بكليته إليه ، قال الله ـ عز وجلَّ ـ: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [النحل : ٥٣] ، وقال ـ جلَّ شأنه ـ : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾ [النحل : ١٨] ، وقال ـ جلَّ في علاه ـ : ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان : ٢٠] .

[٢] معرفة الله ـ تعالى ـ بأسمائه وصفاته وأفعاله ، فمن عرف الله ـ تبارك وتعالى ـ بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة ، **فإن القلوب فُطرت على حب الكمال والجمال** ، ولا كمال ولا جمال في الحقيقة إلا لله ـ سبحانه وتعالى ـ في **ذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه** ، ومن أحب الله أطاعه ، ومن أطاعه أكرمه ربه ، ومن أكرمه ربه أسكنه في جواره ، فكلما قويت معرفة العبد بالله قويت محبته له ومحبته لطاعته على قدر ذلك الحب .

---

(١) إحياء علوم الدين

[٣] حب القرآن ومداومة تلاوته بالتدبر والتفكر ، ولا سيما الآيات المتضمنة لأسماء الله - تعالى - وصفاته وأفعاله الباهرات ، ولقد كان رسول الله - ﷺ - يحب كلام الله - القرآن - حباً شديداً فخالط شغاف قلبه،بل كل خلية من خلاياه ،فكان قرءاناً يمشي على الأرض ، وكان يحب أن يسمع تلاوته من غيره ، ويقف على الأبواب ينصت إذا سمع من داخلها من يرتل القرآن - كما يقف الحبيب وينصت لكلام حبيبه ! - وهكذا كان صحابته الكرام فقد « بعَثَ رسول اللّه - ﷺ - رَجُلاً عَلَى سرِيَّةٍ فَكَانَ يَقْرأُ لأَصْحابِهِ في صلاتِهِمْ فَيخْتِمُ بـ ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ① ﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَروا ذلكَ لرسولِ اللّه - ﷺ - **فقال: سَلُوهُ لأيِّ شَيءٍ يَصْنَعُ ذلك؟** فَسَأَلوه ، فَقَالَ : لأنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ ، فَأَنَا أُحبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا ، **فقال رسولُ اللَّه** ﷺ : **أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّه تعالى يُحبُّهُ** »(١) ، فـ ﴿ **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ** ﴾ [الزمر:٢٣] ، وقال رسول الله - ﷺ : « **من سره أن يحب الله ورسوله فليقرأ في المصحف** »(٢) .

[٤] التقرب إلى الله - تبارك وتعالى - بالنوافل بعد آداء الفرائض ، فإنها توصل العبد إلى درجة المحبوبية بعد المحبة ، مثل نوافل الصلاة والصيام والحج والإنفاق وصلة الرحم وقراءة القرآن وذكر الله وبر الوالدين و ..... وفي البخاري « **إِنَّ اللَّه تعالى قال : مَنْ عادَى لي وليّاً فقد آذنْتُهُ بالحَرْب ، ومَا تقَرَّبَ إليَّ عَبْدي بشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْه ، ومَا يَزَالُ عَبْدي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به وبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ به ويَدَهُ الَّتي يبْطِشُ بِهَا ، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها ، وإنْ سَأَلَني أَعْطَيْتُهُ ، ولَئِنْ استعاذني لأعيذنه** » آذَنْتُهُ أي أَعْلَمْتُهُ بِأَنِّي مُحَارِبٌ له .

---

(١) متفق عليه (٢) صحيح الجامع.

[٥] دوام ذكر الله على كل حال ، **باللسان والقلب والعمل والحال** ، فكثرة ذكر الله موجبة لدوام محبته ، ونسيانه سبباً لزوال محبته أو على الأقل ضعفها ؛ وذكر الله يكون بذكر أسمائه وصفاته والثناء عليه بها ؛ ويكون بتسبيحه وتكبيره وتهليله وتمجيده بحيث يكون العبد مولعاً بذكر ربه ومولاه لا يفتر لسانه ولا يخلو عنه قلبه ولا يكون شيء أحب إليه من ذكر الله ـ عز وجلَّ ـ **لا مال ولا صاحبة ولا ولد ولا جاه** ، فيكون ذكر الله أحب وأقرب إليه من ذكر هؤلاء ؛ ويكون بذكر أحكامه وأوامره ونواهيه ؛ ويكون بقراءة كلامه ، القرآن العظيم ، المُنزل على رسوله ﷺ ؛ قال أحد الصالحين لأحد طلابه : أتحفظ القرآن ؟ ، قال : لا ، قال : واغوثاه لمؤمن لا يحفظ القرآن ! ، فبمَ يترنم ؟ ، فبم يتنعم ؟ ، فبمَ يناجي ربه؟!! ؛ ويكون أيضاً بدعائه واستغفاره والتضرع إليه ـ سبحانه وتعالى ـ ، فنصيب العبد من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر،قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ** ﴾ [البقرة : ١٥٢] ، وقال ـ جلَّ شانه ـ : ﴿ **الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً** ﴾ [الأحزاب : ٣٥] ، وقال ـ جلَّ في علاه ـ : ﴿ **وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [الجمعة : ١٠] .

[٦] **إيثار محاب الله على محاب العبد وخصوصًا عند غلبة الهوى** ، والتطلع والتسنم والترقي إلى محابه وإن صعب المرتقي ، وذلك بفعل ما يحبه الله ـ عز وجلَّ ـ ولو كرهته النفس بطبعها ، وبترك ما يبغضه الله ـ عز وجلَّ ـ ،ولو أحبته النفس بطبعها، فالإنسان لا يترك محبوباً إلا لمحبوب أعلى منه، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ **قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾** ﴾ [التوبة : ٢٤] ، وقال جلَّ شانه : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ [آل عمران : ٣١] ، وقال أيضاً : ﴿ **فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ**

ومن أضلُّ ممَّن اتَّبع هواهُ بغيرِ هُدًى مِّن اللَّهِ ﴾ [القصص : ٥٠] وقال رسوله ـ ﷺ ـ : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » (١) .

[٧] الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه ، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة « يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبارَكَ وَتعالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إلَى السَّماءِ الدُّنْيا حين يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ،مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ،مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ »(٢) ، وفي رواية مسلم « ...حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ » وقال الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ⑱ ﴾ [الذاريات :١٨] .

[٨] مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله ـ عز وجلَّ ـ ، وقطع جميع علائق الدنيا وإخراج حب غير الله من القلب ، فإن القلب مثل الإناء لا يتسع لشيئين متضادين ، قال ربنا ـ جلَّ وعلا ـ : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ [الأحزاب : ٤] ، وقال رسوله ـ ﷺ ـ : « ازْهَدْ في الدُّنيا يُحِبَّكَ اللَّه ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ » (٣) .

[٩] الدعاء ، فقد ورد أن النبي ـ ﷺ ـ كان يدعو « اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حبه عندك ، اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب ، وما زويت عنى مما أحب فاجعله فراغاً لي فيما تحب » (٤) ، وكان من دعاء داود ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام « اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك وحب العمل الذي يبلغني حبك ، اللهم أجعل حبك أحب إليَّ من نفسي وأهلي ومن الماء البارد » (٥) ، وصح من رواية نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يدعو على الصفا والمروة وفي مناسكه فيقول في دعائه ، اللهم اجعلني ممن يحبك ويحب ملائكتك ويحب رسلك ويحب عبادك الصالحين ، اللهم حببني

---

(١) صححه النووي (٢) متفق عليه (٣) ابن مَاجَه وغيره بأسانيد حسنة .
(٤) الترمذي . (٥) الترمذي .

إليك وإلى ملائكتك والى رسلك والى عبادك الصالحين ... في دعاء له كثير .

[١٠] مجالسة المحبين الصادقين والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقى أطايب الثمر ، ولا يتكلم العبد إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام وكان فيه مزيداً لحاله ومنفعة لغيره ، كيف لا وقد قال رسولنا الكريم - ﷺ - : « **الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِه فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُم مَنْ يُخَالِلُ** »(١) ، و« قال أبو بكر لعمرَ - رضي الله عنهما - بَعْدَ وَفَاة رسولِ اللَّه - ﷺ - : انْطَلِقْ بِنَا إِلى أُمِّ أَيْمنَ - رضي الله عنها - نَزُورُهَا كَمَا كانَ رسولُ اللَّه - ﷺ - يزُورُهَا ،فلَمَّا انْتَهيا إِلَيْهَا بَكَتْ ، فَقَالاَ لَهَا : مَا يُبْكيك،أما تَعْلَمين أنَّ ما عِنْدَ اللَّه خيرٌ لرسول اللَّه - ﷺ ؟ ، فَقَالَتْ : مَا أَبْكِي أَنْ لاَ أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّه خَيْرٌ لِرَسُولِه - ﷺ - وَلَكنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَد انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ ، فَهَيَّجتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ فَجَعَلاَ يَبْكِيَانِ مَعَهَا »(٢)، وقال الله - تعالى - في الحديث القدسي : «**وجبت محبتي للمتحابين فيَّ ، والمتجالسين فيَّ ، والمتزاورين فيَّ** »(٣) .

[١١] تذكر حال أهل الجنة وزيارتهم لربهم - تبارك وتعالى - ، واجتماعهم به - سبحانه - يوم المزيد ، فإن ذلك تستجلب به المحبة الخالصة .

[١٢] محبة العبد لقاء محبوبه الأعلى - جلَّ وعلا - ، قال الله - تبارك وتعالى - حاكياً كلام يوسف - على نبينا وعليه الصلاة والسلام ﴿ **تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ** ﴾ [يوسف : ١٠١] ، فما قالها يوسف ضجراً ولا سخطاً حين ألقى في البئر أو ابتلى بالسجن ، وإنما قالها حباً وشوقاً إلى ربه - عليه السلام - بعد أن اعتلى كرسي الحكم : ﴿ **رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ** ﴾ [يوسف : ١٠١] لأنه محب، والمحب الصادق لا صبر له على فراق حبيبه،قال الله - تبارك وتعالى - لليهود : ﴿ **قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِن**

---

(١) صحيح سنن أبي داود . (٢) مسلم. (٣) صحيح الجامع .

دون النَّاس فتمنَّوا الموت إن كنتم صادقين (٩٤) ﴾ [البقرة : ٩٤] ، وقال رسول الله ـ ﷺ ـ « من أحبَّ لقاء الله أحبَّ اللهُ لقاءهُ ، ومن كره لقاء الله كره اللهُ لقاءهُ » ، قالت عائشةُ أو بعضُ أزواجه إنَّا لنكرهُ الموتَ ، قال : « ليس ذاك ، ولكن المؤمن إذا حضره الموتُ بُشِّر برضوان الله وكرامته ، فليس شيءٌ أحبَّ إليه ممَّا أمامهُ ، فأحبَّ لقاء الله وأحبَّ اللهُ لقاءهُ . . . »(١) .

وقالت أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ كان النَّبيُّ ﷺ يقول وهو صحيحٌ إنَّهُ لم يُقبض نبيٌّ حتَّى يرى مقعدهُ من الجنَّة ثُمَّ يُخيَّر ، فلمَّا نزل به ورأسهُ على فخذي غُشي عليه ثُمَّ أفاق فأشخص بصرهُ إلى سقف البيت ثُمَّ قال اللَّهُمَّ الرَّفيق الأعلى ، فقلتُ : إذًا لا يختارُنا (٢) .

[١٣] انكسار العبد بين يدي سيده ومولاه بدوام الإفتقار إليه وحده والخضوع والتذلل والانطراح بين يديه وحده ، ليس معجباً بعمله ولا مغتراً بما قدَّم مهما كان كثيراً ، فيرى نفسه مقصراً ويرى سائر عمله لا يكافأ نعمة واحدة من نعم ربه ومولاه عليه ، فما أقرب جبر الله لهذا القلب المنكسر وما أدنى رحمته منه وحبه وفضله إليه .

[١٤] فعل ما يحبه الله وما يحبه رسوله ـ ﷺ ـ مما ذكره الله في كتابه وما ورد في سُنَّة رسوله ، واجتناب كل ما يبغضه الله مما ورد في كتابه أو في سُنَّة رسوله ـ ﷺ ـ ومنها :

(أ) مما ذكره الله ـ تبارك وتعالى ـ في كتابه :

قوله ـ جلَّ وعلا ـ : ﴿ إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٥] ، والإحسان هو إتقان العمل وإحكامه ، وهو أيضاً اعطاء المرء أكثر مما عليه وأخذ أقل مما له ، فهو فوق العدل وأعم من الإنعام ، ﴿ إنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ويُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] ، ﴿ وَاللهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة : ١٠٨] ، والمتطهرون هم

---

(١) متفق عليه. (٢) البخاري .

التاركين للذنوب العاملون بالصلاح ،﴿ إن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣٢] وهو إتباع هدى النبي وسُنَّته ﷺ، ... ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ٧٦] والمتقون هم الذين يلازمون طاعة الله ويجتنبون معصيته اتقاء عذابه .

﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٦] والصبر هو حبس النفس ـ أي ضبطها ومنعها ـ وفق ما يقتضيه شرع الله عز وجلَّ ـ ويشمل الصبر على طاعة الله عز وجلَّ ـ والصبر عن معصيته والصبر على المصائب ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ، والمتوكلون هم المعتمدون على الله ،المفوضون أمرهم إليه ، وهوعمل القلب ولا ينافى أبداً الأخذ بالأسباب ؛ فيكون اعتماد القلب على ربه وثقته به ، فيكل إليه أمره كله ويفوضه في جميع أموره ـ لعلمه بكافية ربه له ـ وحسن اختياره لعبده ، مع القيام بالأسباب المأمور بها والاجتهاد في تحصيلها ، مع عدم الركون إليها بالمرة بل ركونه إلى ربه ومولاه ومدبر أمره ، الذي بيده ملكوت السماوات والأرض ، وأعلى أنواع التوكل هو التوكل على الله في الإيمان لزيادته ، والتوكل في نصرة دين الله وإعلاء كلمته ، والتوكل في محابه وتنفيذ أوامره .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المائدة :٤٢] والمقسطون هم العادلون ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) ﴾ [المائدة :٥٤]، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ (٤) ﴾ [الصف : ٤] ، ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) ﴾ [الإنسان : ٨] ، ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ ﴾ [البقرة : ١٧٧] ،

ومنه إطعام الطعام لحب الله ـ تبارك وتعالى ـ .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً ﴾ [النساء : ٣٦] والمختال هو صاحب الخيلاء أي الكبر ، والفخور هو المباهي المتطاول بالأشياء الخارجة عن الإنسان كالمال والجاه ، وخصَّ الله هاتين الصفتين بالذكر لأنهما تحملان صاحبيهما على الأنَفة من القريب الفقير والجار الفقير وغيرهم ممن ذُكر في الآية فيضيع أمر الله بالإحسان إليهم ، ﴿ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة : ١٧٧] وكفَّار شديد الكفر، وأثيم كثير الآثام المتمادي فيها ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ [النساء:١٠٧] الخيانة هي الغدر وعدم الوفاء بالعهد وأداء الأمانة، وخوَّان صيغة مبالغة منه ، ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران :٣١] والكفر ضد الإيمان ، ﴿ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران :٥٧] والظلم ضد العدل وهو وضع الشئ في غير موضعه ومجاوزة الحد بظلم الإنسان نفسه أو غيره أو شركه بربه أو هم جميعاً ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة :١٩٠] والاعتداء هو مجاوزة الحق وظلم الغير ﴿ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ [البقرة :٢٠٥] والفساد ضد الصلاح وهو الخروج عن الاستقامة في النفس والبدن والأرض و . . .

و﴿ لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ ﴾ [النساء : ١٤٨] ، فقد بوب البخاري ـ رحمه الله ـ باب الانْتِصَارِ مِنَ الظَّالِمِ لِقَوْلِهِ ـ جَلَّ ذِكْرُهُ ـ ﴿ لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا (١٤٨) ﴾ [النساء: ١٤٨] و﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ (٣٩) ﴾ [الشورى:٣٩]، قَالَ إِبْرَاهِيمُ : كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يُسْتَذَلُّوا ، فَإِذَا قَدَرُوا عَفَوْا .

﴿ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف:٣١] والإسراف هو مجاوزة حد الاعتدال ويكون في المال وفى الذنوب وغيرهما ﴿ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾[النحل :٢٣] المستكبرون هم المتعاظمون المتجبرون الرافضون للخضوع للحق عناداً ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ

لا يُحِبُّ الفرِحِين ﴾ [القصص : ٧٦] والفرحون هم الفرحون بغير الحق مع البطر والاستعلاء .

(ب) ومما ورد في سُنَّة رسوله ـ ﷺ ـ :

أولاً : في السلوك والأخلاق :

و« **أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل** »[١] ، « **وكان آل محمد إذا عملوا عملاً أثبتوه** »[٢] ، « ... وَأَحَبُّ الصَّلاةِ إِلَى النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ مَا دُووِمَ عَلَيهِ ، وَإِنْ قَلَّتْ » ، « وَكَانَ ـ ﷺ ـ **إِذَا صَلَّى صَلاَةً دَاوَمَ عَلَيْهَا** »[٣] ، لذلك فالقليل الدائم خير من الكثير المنقطع ، وخير منهما الكثير الدائم ، « **إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه** »[٤] .

« **أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً** »[٥] ، « **إن أحبكم إلي وأقربكم مني في الآخرة مجالس أحاسنكم أخلاقاً ، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني في الآخرة أسوؤكم أخلاقاً الثرثارون المتفيهقون المتشدقون** »[٦]، « **إن الله تعالى جميل يحب الجمال ، ويحب معالي الأخلاق ، ويكره سفسافها** »[٧] ، « **إن الله تعالى يحب معالي الأمور وأشرافها ، ويكره سفاسفها** »[٨] السَّفْسَافُ هو الرديءُ والحقير من كل شيءٍ وعمل .

« **إن الله تعالى عفوٌ يحب العفو** »[٩]، والعفوُّ هو كثير التجاوز وترك العقاب والمزيل لذنوب عباده كرماً وإحساناً ، والعفو في حق الخلق هو التجاوز عن المسيء وترك عقابه مع القدرة على الانتقام منه ، كرماً وإحساناً ، و« ... **وَإِنَّ اللَّهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ** »[١٠] .

و« **إن الله تعالى جميل يحب الجمال ،ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده** ،

---

(١) صحيح الجامع . (٢) صحيح الترغيب والترهيب . (٣) البخاري .
(٤) صحيح الجامع. (٥) السلسلة الصحيحة (٦) صحيح الجامع
(٧) صحيح الجامع. (٨) صحيح الجامع (٩) صحيح الجامع.
(١٠) متفق عليه

ويبغض البؤس والتباؤس »[١]، «إن الله تعالى إذا أنعم على عبد نعمة يحب أن يرى أثر النعمة عليه ... ويبغض السائل الملحف ويحب الحييّ العفيف المتعفف »[٢] .

و« إن كنتم تحبون أن يحبكم الله ورسوله فحافظوا على ثلاث خصال ، صدق الحديث ، وأداء الأمانة وحسن الجوار »[٣] ، « إن الله تعالى حييّ ستيّر يحب الحياء والستر فإذا اغتسل أحدكم فليستتر »[٤] ، « إن الله كريم يحب الكرماء ، جوّاد يحب الجود ... »[٥] .

و« قَالَ رَسُولُ اللَّه ـ ﷺ ـ للأَشَجِّ أَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ : إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ »[٦] ، « ... إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ ، وَيُعْطِى عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِى عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لاَ يُعْطِى عَلَى مَا سِوَاهُ »[٧] ، « إن الله تعالى يحب سمح البيع سمح الشراء سمح القضاء »[٨] .

وقال أيضاً : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه ، كما يكره أن يلقى في النار »[٩] ، « عَنِ النَّبِىِّ ـ ﷺ ـ أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخاً لَهُ فِى قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِه مَلَكاً ، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ ، قَالَ :أُرِيدُ أَخاً لِى فِى هَذِه الْقَرْيَةِ ، قَالَ :هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا ؟ ، قَالَ : لاَ ، غَيْرَ أَنِّى أَحْبَبْتُهُ فِى اللَّه ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ قَالَ فَإِنِّى رَسُولُ اللَّه إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيه »[١٠]، «قال الله تعالى : حقت محبتي للمتحابّين فيّ ، وحقت محبتي للمتواصلين فيّ، وحقت

---

(١) ، (٢) صحيح الجامع .
(٣) السلسلة الصحيحة .
(٤) ، (٥) صحيح الجامع .
(٦) البخاري .
(٧) متفق عليه .
(٨) ، (٩) صحيح الجامع .
(١٠) مسلم .

محبتي للمتناصحين فيّ ، وحقت محبتي للمتزاورين فيّ ، وحقت محبتي للمتباذلين فيّ ، المتحابون فيّ على منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء » (١) ، « والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير » (٢) ، « أحب الناس إلى الله ـ تعالى ـ أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلىّ الله ـ عز وجلّ ـ سرور يدخله على مسلم ، أو يكشف عنه كربة ، أو يقضي عنه ديناً ، أو يطرد عنه جوعاً ، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في هذا المسجد ـ يعني مسجد المدينة ـ شهراً ...» (٣) ، « أحب الطعام إلى الله ، ما كثرت عليه الأيدي » (٤) ، و« وَكَانَ رَسُولُ اللَّه ـ ﷺ ـ يُحِبُّ التَّخْفِيفَ وَالْيُسْرَ عَلَى النَّاسِ » (٥) .

و« إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ » (٦) ، « خير الناس ذو القلب المخموم واللسان الصادق ، قيل: ما القلب المخموم ؟، قال: هو التقي النقي الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا حسد ، قيل فمن على أثره؟،قال : الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة، قيل فمن على أثره ؟، قال : مؤمن في خُلُق حسن » (٧) .

و« الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّه مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِى كُلٍّ خَيْرٌ ....» (٨) ، « من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يكره الله ، فأما ما يحب فالغيرة في الريبة ، وأما ما يكره فالغيرة في غير ريبة » (٩) ، « إن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه » (١٠) ، « إن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته » (١١) .

و« سئل رَسُولَ اللَّه ـ ﷺ ـ أَىُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّه ، قَالَ : الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا ، ثُمَّ أَىٌّ ، قَالَ : ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ ، ثُمَّ أَىٌّ ، قَالَ ، ثُمَّ الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ

---

(١) ، (٢) صحيح الجامع .
(٣) ، (٤) السلسلة الصحيحة.
(٥) البخاري .
(٦) ، (٧) صحيح الجامع.
(٨) مسلم.
(٩) ، (١٠) ، (١١) صحيح الجامع.

اللّه » (١) ، و« سئلَ ثَوْبَان مَوْلَى رَسُول اللّه ـ ﷺ ـ عن عَمَلٍ يعْمَلُهُ يُدْخله اللّهُ به الجَنَّةَ ، أَوْ بأَحَبِّ الأَعْمَال إِلَى اللّه ، فَقَالَ :عَلَيْكَ بكَثْرَة السُّجُود للّه فَإِنَّكَ لاَ تَسْجُدُ للّه سَجْدَةً إِلاَّ رَفَعَكَ اللّهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْكَ بهَا خَطيئَةً » (٢) ، ومنه المحافظة على الركعتين قبل الفجر ، فعَن النَّبيِّ ـ ﷺ ـ أَنَّهُ قَالَ فِي شَأْن الرَّكْعَتَيْنِ عِنْدَ طُلُوعِ الفَجْرِ « لَهُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ منَ الدُّنْيَا جَميعاً » (٣)، « إن أحب صلاة تصليها المرأة إلى الله أن تصلي في أشد مكان من بيتها ظلمة »(٤) .

و« من سره أن يحب الله ورسوله فليقرأ في المصحف » (٥) ، « إن الله تعالى يبغض كل عالم بالدنيا جاهل بالآخرة » (٦) ، و عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رَسُول اللّه ـ ﷺ ـ قال : « فضل العلم أحب إليَّ من فضل العبادة ، وخير دينكم الورع » (٧) .

« إن الله تعالى يحب العطاس ويكره التثاؤب » (٨) ، « كَانَ النَّبيُّ ـ ﷺ ـ يُحبُّ التَّيَمُّنَ مَا اسْتَطَاعَ فِي شَأْنه كُلِّه ، فِي طُهُوره وَتَرَجُّله وَتَنَعُّله » (٩) ، « أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن والحارث » (١٠) ، « وكان رسول الله ـ ﷺ « ...لاَ يُبَالِي بِتَأْخِيرِ الْعِشَاءِ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ وَلاَ يُحِبُّ النَّوْمَ قَبْلَهَا ، وَلاَ الْحَدِيثَ بَعْدَهَا ... » (١١) .

ثانياً : في الذكــر :

«أحبِ الكلام إلى الله ـ تعالى ـ أربع ، سبحان الله ، والحمد لله ،ولا إله إلا الله ، والله أكبر ،ولا يضرك بأيهن بدأت»(١٢)، « أحب الكلام إلى الله أن يقول العبد سبحان الله وبحمده»(١٣)،« إن أحب الكلام إلى الله أن يقول العبد : سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرك ، وإن أبغض

---

(١) ،(٢) ، (٣) مسلم — (٤) صحيح ابن خزيمة

(٥) ، (٦) ، (٧) ، (٨) ، (٩) ، صحيح الجامع — (١٠) السلسلة الصحيحة

(١١) البخاري — (١٢) ، (١٣) صحيح الجامع

الكلام إلى الله أن يقول الرجل للرجل : اتق الله، فيقول :عليك بنفسك » [١]، « ... وما من شيء أحب إلى الله من الحمد » [٢] ، « لَيْس أَحَدٌ أَحبَّ إِلَيْه الْمَدْحُ منَ اللَّه - عَزَّ وَجَلَّ - منْ أَجْلِ ذَلكَ مَدَحَ نَفْسَهُ، وَلَيْس أَحَدٌ أَغْيَر منَ اللَّه ؛ منْ أَجْلِ ذَلكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِش ، وَلَيْس أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ منَ اللَّه ؛ منْ أَجْلِ ذَلكَ أَنْزَلَ الْكتَابَ وأَرْسَلَ الرُّسُلَ » [٣] .

ثالثاً : في حب آل بيت رسول الله - ﷺ - وصحابته الكرام :

يحكى أحد الصحابة عن حب رسولنا الكريم - ﷺ - للحسين بن على - رضي الله عنهما - فيقول : « خرجنا مع النبي - ﷺ - ودعينا إلى طعام ؛ فإذا حسين يلعب في الطريق ؛ فأسرع النبي - ﷺ - أمام القوم ثم بسط يديه ، فجعل الغلام يفر هاهنا وهاهنا ويضاحكه النبي - ﷺ - حتى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى في رأسه ثم أعتنقه ثم قال النبي - ﷺ - : «حسين مني وأنا من حسين ، أحب الله من أحب حسيناً ، الحسين سبط من الأسباط » [٤] ، و« عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ :خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّه - ﷺ - فِى طَائفَة منَ النَّهَار لاَ يُكَلِّمُنى وَلاَ أُكَلِّمُهُ حَتَّى جَاءَ سُوقَ بَنِى قَيْنُقَاعَ ثُمَّ انْصَرَفَ حَتَّى أَتَى خِبَاءَ فَاطمَةَ فَقَالَ : « أَثَمَّ لُكَعُ أَثَمَّ لُكَعُ » يَعْنِى حَسَناً ، فَظَنَنَّا أَنَّهُ إِنَّمَا تَحْبِسُهُ أُمُّهُ لأَنْ تُغَسِّلَهُ وَتُلْبِسَهُ سِخَاباً ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ يَسْعَى حَتَّى اعْتَنَقَ كُلُّ وَاحد منْهُمَا صَاحبَهُ ، فَقَالَ : رَسُولُ اللَّه - ﷺ - :« اللَّهُمَّ إِنِّى أُحبُّهُ فَأَحبَّهُ وَأَحْبِبْ مَنْ يُحبُّهُ » [٥] .

وقال رسول الله - ﷺ - في حق الأنصار : « إن الناس يهاجرون إليكم ولا تهاجرون إليهم ، والذي نفسي بيده لا يحب الأنصار رجل حتى يلقى الله إلا لقي الله وهو يحبه ، ولا يبغض الأنصار رجل حتى يلقى الله إلا لقي الله وهو يبغضه » [٦] .

---

(١) السلسلة الصحيحة .
(٢) صحيح الترغيب والترهيب .
(٣) مسلم .
(٤) صحيح ابن ماجة .
(٥) متفق عليه .
(٦) صحيح الجامع .

رابعاً: في ما لا يحبه الله ـ عز وجل ـ:

قال رسول الله ـ ﷺ ـ: « **إن الله لا يحب العقوق** »(١) ، و« **إن الله لا يحب كل فاحش متفحش** »(٢)، و« **إنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّه الأَلَدُّ الْخَصِمُ** »(٣) ، و« **أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّه ثَلاَثَةٌ : مُلْحِدٌ فِى الْحَرَمِ ، وَمُبْتَغٍ فِى الإِسْلاَمِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ** »(٤) ، و« **إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاَثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاَثًا ، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا ، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ** »(٥) ، و« **إن الله ـ عز وجلَّ ـ يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه تخلل البقرة بلسانها** »(٦) .(٧) .

علامات المحبة الصادقة لله ـ سبحانه وتعالى ـ:

لحب الله ـ تبارك وتعالى ـ علامات وشواهد تظهر في قلب العبد وعلى جوارحه تفرق بيّن الصادق والدعيُّ.

قال الشاعر:

وكل يدَّعون وصال ليلى ... وليلى لا تقرُّ لهم بذاكا

إذا اشتبكت دموعٌ في خدود ... تبيَّن من بكى ممن تباكى

[١] حب كلام المحبوب الأعلى جلَّ ـ وعلا القرآن ـ ودوام قراءته، وإدمان النظر إليه، وإقبال العين عليه، فإن العين باب القلب فـ« **من أحب القرآن فليبشر** »(٨) ، وقد ثبت عن عَبْد اللَّه بْن مَسْعُود ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال : قال لي رسول الله ـ ﷺ : « **أقرأ عليَّ** ، قلت : أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ ؟ قال : **إِنِّى أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِى** ، فقرأت عليه من أول سورة النساء حتى إذا بلغت قوله ـ تبارك وتعالى ـ ﴿ **فَكَيْفَ**

---

(١) ، (٢) صحيح الجامع.

(٣) ، (٤) ، (٥) البخاري.

(٦) السلسلة الصحيحة.

(٧) مدارج السالكين ـ بتصرف.

(٨) رواه الدارمي في سننه .

إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء : ٤١]. قال : حسبك الآن ، فرفعت رأسي فإذا عيناه تذرفان »(١) .

وكان أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ إذا اجتمعوا أمروا قارئاً أن يقرأ وهم يستمعون ، وكان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إذا دخل عليه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه يقول : يا أبا موسى ذكرنا ربنا ، فيقرأ أبو موسى وربما بكى عمر رضي الله عنهما .

[٢] الأدب مع المحبوب الأعلى ـ عز وجلّ ـ بإغضاء الطرف ورميه بطرفه نحو الأرض وذلك من مهابته له وحيائه منه وعظمته في صدره ، قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ مُخبراً عن كمال أدب وحب رسوله ـ ﷺ ـ له في ليلة الإسراء : ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ [النجم: ١٧]، وهذا غاية الأدب مع غاية الحب، فإن بصره لم يزغ يميناً ولا شمالاً ولا طمح متجاوز إلى ما هو رائيه ، وهكذا يجب أن نتأدب مع ربنا في الصلاة بعدم انشغال القلب بغيره وبخشوع الجوارح بعدم الحركة والإلتفات ، ويبقى هذا هو دأبنا في جميع شئوننا وعباداتنا ، نتأدب مع ربنا ومع شرعه؛ فلا نزيغ لا عملاً ولا فكراً ولا نتجاوز حد العبيد مع ملكهم .

[٣] كثرة ذكر الله ـ عز وجلّ ـ واللهج بذلك وبقراءة كتابه ـ فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره بقلبه ولسانه وجوارحه ، وكما أن الذكر من نتائج الحب فالحب أيضا من نتائج الذكر ، فكل منهما يثمر الآخر، وزرع المحبة إنما يسقى بماء الذكر، وأفضل الذكر ما صدر عن المحبة ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ:﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٧]، وقال ـ جلّ شانه ـ: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [آل عمران: ١٩١] ، وقال ـ جلّ وعلا ـ : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر :٢٣] .

---

(١) مسلم

قال الشاعر:

ولقد ذكرتك والرماح نواهلٌ منى وبيضُ الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

[٤] الانقياد لأمر المحبوب الأعلى - عز وجلَّ - وإيثاره على كل مراد ، بل يتحد مراد العبد مع مراد ربه - عز وجلَّ - فالمحبون منهم من يريد **من** المحبوب ، ومنهم من يريد **المحبوب** ، ومنهم من يريد **مراد المحبوب** مع إرادته للمحبوب ، وهذا أعلى أقسام المحبين ، وزهد هذا أعلى أنواع الزهد ، فإنه قد زهد في كل إرادة تخالف مراد محبوبه، وبين هذا وبين الزهد في الدنيا أعظم مما بين السماء والأرض .

فالزهد خمسة أقسام:

زهد في **الدنيا**، وزهد في **النفس**، وزهد في **الجاه والرئاسة**، وزهد في سوى المحبوب، وزهد في **كل إرادة تخالف مراد المحبوب**، وهذا إنما يحصل بكمال المتابعة للحبيب رسول الحبيب - ﷺ - قال الله - تبارك وتعالى - :﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** (٣١) ﴾ [آل عمران : ٣١] .

قال المحب:

تعصى الإله وأنت تزعم حبَّه هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبُّك صادقاً لأطعتَه إن المحبَّ لمن يحبُّ مطيعُ

[٥] قلة صبر المحب عن المحبوب الأعلى - ربه عز وجلَّ - فينصرف صبره إلى الصبر على طاعته،والصبر عن معصيته ،والصبر على أحكامه حتى يلقاه في جنته، فيسرع العبد في السير إلي ربه،ويطوى المنازل في الوصول إليه،والاجتهاد في القرب والدنو منه،وقطع كل قاطع يقطع عنه،وطرح كل الأشغال الشاغلة عنه، **بل والزهد فيها والرغبة عنها ،والاستهانة بكل ما يكون سبباً لغضبه ومقته وإن جلَّ** ، والرغبة في كل ما يدنى العبد منه وإن شقَّ ، قال الله - تبارك وتعالى -

حاكياً عن شوق كليمه موسى ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ : ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ [طه : ٨٤] ، والتنعم بطاعته وعدم استثقالها والتعب من تأديتها ، قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **يا بلال أقم الصلاة ، أرحنا بها** » (١) ، وقال أيضاً : « ... **وجُعلت قرة عيني في الصلاة** » (٢) .

قال المحب :

والصبرُ يحمدُ في المواطن كلها ... وعن الحبيب فإنه لا يحمدُ

[٦] محبة دار المحبوب الأعلى ـ الجنة ـ وبيته ، وربما هذا هو السر الذي لأجله علقت القلوب على محبة الجنة والكعبة البيت الحرام حتى استطاب المحبون في الوصال إليها هَجرُ الأوطان والأحباب ، ولذَّ لهم فيها السفر الذي هو قطعة من العذاب ، فركبوا الأخطار وجابوا المفاوز والقفار واحتملوا في الوصول غاية المشاق، ولو أمكنهم لسعوا إليها على الجفون والأحداق ، وسر هذه المحبة هي إضافة الرب ـ سبحانه ـ البيت إلى نفسه بقوله : ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ ﴾ [الحج : ٢٦] ـ وكل ما نسب إلى المحبوب ـ فهو محبوب ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الجن : ١٩] ، وقال ـ جلَّ شأنه ـ : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ﴾ [الإسراء : ١] ، وقال أيضاً : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [الفرقان : ١] .

قال الشاعر :

أمرُّ على الديار ديار ليلى ... أُقبّل ذا الجدار وذا الجدار

وما حبُ الديار شغفن قلبي ... ولكن حبُ من سكن الديار

[٧] محبة أحباب المحبوب الأعلى ـ جلَّ وعلا ـ وكل ما يتعلق به من أنبيائه ورسله جميعاً وخصوصاً سيد ولد آدم وخليل الرحمن محمد ـ ﷺ ـ لقوله :

---

(١) ، (٢) صحيح الجامع .

« ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجدَ حَلاوَةَ الإيمان ، أنْ يكُونَ اللَّهُ ورَسُولُهُ أحبَّ إلَيْه ممَّا سِوَاهُمَا ، وأَنْ يُحبَّ المرْءَ لاَ يُحبُّهُ إلاَّ للَّه ، وأَنْ يكْرَهَ أنْ يَعُودَ في الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّارِ » (١) ، ومحبة ملائكته جميعاً وحملة عرشه خصوصاً فـ ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ (٩٨) ﴾ [البقرة : ٩٨] ، ومحبة جميع عباده المسلمين الصالحين المؤمنين بجميع رسل الله من لدن آدم ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ إلى يوم الدين ، وبخاتم رسله محمد ـ ﷺ ـ فـ « أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله ، والحب في الله والبغض في الله » (٢) ، بل ومحبة جميع المسبحين الطائعين له من جميع خلقه ولو كان جبلاً فـ « أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ » (٣)، أو طيراً كالهدهد القائل: ﴿ أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) ﴾ [النمل: ٢٥-٢٦] و....

قال المحب :

فيا ساكني أكناف طيبة كلكم إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

[٨] البَهتُ والروعة التي تحصل عند علم العبد أن محبوبه الأعلى ـ جلَّ وعلا ـ يذكره « قَالَ رَسُولُ اللَّه ـ ﷺ ـ لأُبَيّ بْنِ كَعْبٍ : إنَّ اللَّهَ أمرَني أنْ أقرأَ عليْكَ ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ قَالَ : وَسَمَّانِي لَكَ ، قَالَ : نعَمْ ، فَبَكَى رضي الله عنه » (٤) .

[٩] غيرته المحب لربه وعليه ، **والغيرة له** أن لا يجعل شيئاً من أعماله وأقواله وأحواله وأوقاته وأنفاسه لغير ربه ، ويغار أن يُحب ربه أحدٌ أكثر منه أو حتى مثله ، والغيرة عليه بكره ما يكره،**والغيرة إذا عُصي محبوبه وانتهك حقه وضُيِّع أمره** ـ فهذه غيرة المحب حقاً،والدين كله تحت هذه الغيرة ـ فمحب الله ورسوله يغار لله ولرسوله على قدر محبته وإجلاله ، وإذا خلا قلبه من الغيرة لله

(١) متفق عليه .
(٢) السلسلة الصحيحة .
(٣) متفق عليه .
(٤) متفق عليه .

ولرسوله فهو من المحبة أخلى وإن زعم أنه من المحبين ، فكيف يصح لعبد أن يدَّعي محبة الله وهو لا يغار لمحارمه إذا انتهكت ولا لحقوقه إذا ضُيِّعت، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة :٥٤].

ومن فضل الله ـ تبارك وتعالى ـ على عبده أنه يغار عليه ـ غيرة تليق بذاته ـ سبحانه وتعالى ـ فليس بين غيرة الرب ـ جلَّ وعلا ـ وغيرة عبده إلا المشاكلة اللفظية فقط ـ فالله ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [الشورى:١١] ، وذلك بألا يجعله للخلق عبداً بل يتخذه لنفسه عبداً ، فلا يجعل له فيه شركاء متشاكسون **بل يفرده** لنفسه ويضن به على غيره ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ **يغار على قلب** عبده أن يكون مُعطلاً من حبه وخوفه ورجائه، وأن يكون فيه غيره ، فالله ـ سبحانه وتعالى ـ خلقه لنفسه واختاره من بين خلقه، **ويغار على لسان عبده** أن يتعطل عن ذكره ويشتغل بذكر غيره ، **ويغار على جوارحه** أن تتعطل عن طاعته وتشتغل بمعصيته.

وإذا أراد الله بعبده خيراً سلَّط على قلبه إذا أعرض عنه واشتغل بحب غيره أنواع العذاب حتى يرجع قلبه إليه،وإذا اشتغلت جوارحه بغير طاعته ابتلاها بأنواع البلاء،وهذا من غيرته ـ سبحانه وتعالى ـ على عبده،وكما أنه سبحانه وتعالى يغار على عبده المؤمن **فهو يغار له ولحرمته** فلا يُمَكِّنَ المفسد من التوصل إلى حرمته، غيرة منه لعبده، فإنه ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿ **يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ [الحج:٣٨] ،كما في قراءة ابن كثير وأبو عمرو ـ رحمهما الله ـ فيدفع عن قلوبهم وجوارحهم وأهليهم وحريمهم وأموالهم ، يتولى ـ سبحانه ـ الدفع عن ذلك كله غيرة منه لهم كما غاروا لمحارمه من نفوسهم ومن غيرهم فـ« **إذا أحب الله عبدا حماه في الدنيا كما يحمي أحدكم سقيمه الماء**»[١]،والله ـ تبارك وتعالى ـ يغار

(١) صحيح الجامع .

على إمائه وعبيده من المفسدين شرعاً وقدراً ؛ ومن أجل ذلك حرَّم الفواحش وشرع عليها أعظم العقوبات وأشنع القتلات لشدة غيرته على إمائه وعبيده شرعاً ـ فإن عطِّلت هذه العقوبات شرعاً أجراها ـ سبحانه وتعالى ـ **قدراً** (١) .

[١٠] بذل العبد المحب في رضا محبوبه الأعلى ـ جلَّ وعلا ـ كل ما يقدر عليه مما كان يتمتَع به بدون المحبة ، وللمحبُ في هذا **ثلاثة أحوال** ، منها بذله ذلك **تكلفاً ومشقة** ، وهذا في أول الأمر ، ثم إذا قويت المحبة بذله **رضاً وطوعاً** ، وأعلاها إذا تمكنت من القلب غاية التمكن **بذله سؤلاً وتضرعاً** كأنه يأخذه من المحبوب ، حتى إنه لَيَبذُل نفسه دون محبوبه ، كما كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يقُون رسول الله ـ ﷺ ـ في الحرب بنفوسهم حتى يصرعوا حوله .

[١١] سرورهُ بما يُسَرُ به محبوبه الأعلى ـ جلَّ وعلا ـ كائناً ما كان ، وإن كرهته نفسه طبعاً ، فيكون عنده بمنزلة الدواء الكريه ، يكرهه طبعاً ويحبه لما فيه من الشفاء ، وهكذا المحب مع محبوبه الأعظم جلَّ وعلا يسره ما يرضى به محبوبه وإن كان كريهاً لنفسه طبعاً ، وأما من كان واقفاً مع ما تشتهيه نفسه من مراضي محبوبه فليست محبته صادقة بل هي محبة معلولة.

قال المحب :

لئن ساءني أن نلتني بمساءةٍ لقد سرني أنى خطرتُ ببالك

[١٢] حب الوحدة والأنس بمحبوبه الأعلى ـ جلَّ وعلا ـ بالخلوة والتفرد عن الناس ، وكان المحبة قد ثبتت على ذلك ، فلا شيء أحلى للمحب الصادق من خلوته وتفرده بمحبوبه ومناجاته وتلاوة كلامه في صفاء الليل وسكونه ، ولا شيء أبغض إليه ممن ينغص عليه هذه الخلوة .

قال المحب :

وأخرجُ من بين البيوت لعلَّني أُحدث عنك القلبَ بالسر خاليا

---

(١) روضة المحبين ـ بتصرف .

[١٣] استكانة المحب لمحبوبه وخضوعه وذله له ـ فالحُب مبني على الذل والذل للمحبوب الأعظم ـ جلَّ وعلا ـ عزٌّ ما بعده عز .

قال المحب :

إذا كنت تهوى من تحب ولم تكن ... ذليلاً له فاقرأ السلام على الوصل
تذلل لمن تهوى لتكسب عزة ... فكم عزَّة قد نالها المرء بالذل

وقال آخر :

مساكين أهل الحب حتى قبورهم ... عليها تراب الذل دون المقابر

[١٤]ألا يتأسف على ما يفوته مما سوى الله عز وجلَّ ـ قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ **وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة : ٢١٦] ،ويعظم تأسفه على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله ـ تبارك وتعالى ـ وطاعته والتقرب إليه بسائر القربات ، فيكثر رجوعه عند الغفلات بالاستعطاف والاستعتاب والتوبة .

[١٥] أن يكون في حبه خائفاً متضائلاً هيبة وتعظيماً لله ، وخوف المحب إما خوف إعراض المحبوب عنه فـ ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴿٧٧﴾ ﴾ [آل عمران : ٧٧] ، و« **ثلاثةٌ لا يُكلِّمُهم اللَّه يومَ القيامة ولا يُزكِّيهم ولا ينظرُ إليهم ولهم عذابٌ أليم ، شيخٌ زان ، وملكٌ كذَّاب ، وعائلٌ مستكبر** » [(١)] ، وإما خوف الحجاب ﴿ **كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ** ﴿١٥﴾ ﴾ [المطففين: ١٥]،وإما خوف **الإبعاد** ،وهذا المعنى في سورة هود هو الذي شيَّب سيد المحبين محمد ـ ﷺ ـ إذ سمع قول الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ **أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ** ﴾ [هود: ٦٨] ، و ﴿ **أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ** ﴾ [هود ٩٥]

(١) مسلم .

[١٦] أن يستقل في حق محبوبه جميع أعماله ولا يراها شيئاً ، فلا يرى نفسه قطّ إلا مقصراً في حق مولاه ، ويرى شأن محبوبه أعظم من كل عمل عمله من أجله وابتغاء وجهه ، فيستغفر الله ويتوب إليه باستمرار من تقصيره وعدم توفيته حقه ، وكلما ازداد حباً ازداد عملاً وازداد احتقاراً لما عمل ، لعظم حق مولاه عليه ولعظم شأنه عنده، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ مخبراً عن صفات السابقين إلى الخيرات : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [المؤمنون : ٦٠] .

[١٧] حب لقاء الله ـ تبارك وتعالى ـ ، وليس معنى ذلك أن العبد يريد الموت ويتمناه الآن ويدعوا به ، بل في حالة نزول الموت بالعبد الصالح أحبَّ نزوله ؛ لأنه سيفضي به الآن إلى لقاء ربه ومولاه فـ ﴿ مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ﴾ [العنكبوت : ٥] ، و« مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ »(١) .

[١٨] أن يكون مؤثراً ما أحبه الله ـ تبارك وتعالى ـ على ما يحبه في ظاهره وباطنه ، فيلزم مشاق العمل ،ويجتنب إتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل، ويهجر كل سبب يُقصيه عن محبوبه الأعلى تبارك وتعالى ، ولا يزال مواظباً على طاعة الله ومتقرباً إليه بالنوافل،وطالباً عنده مزيد الدرجات والقرب منه ـ جلَّ وعلا ـ كما يطلب المحب مزيد القرب في قلب محبوبه، قال رسول الله ـ ﷺ ـ: « ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ... »(٢) ، و« لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ »(٣) ، و« أَخَذَ رسول الله ـ ﷺ ـ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ـ رضي الله عنه ـ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ـ ﷺ : لاَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ ،

(١) ، (٢) متفق عليه .

(٣) البخاري .

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : فَإِنَّهُ الآنَ وَاللَّه لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ : الآنَ يَا عُمَرُ » (١) ،وقد وصف الله ـ تبارك وتعالى ـ المحبين بالإيثار،فقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر : ١٠] .

قال المحب :

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود يا غاية المنى ... فكل الذي فوق التراب تراب

والمحبة ثلاثة أقسام :

محبة الله تبارك وتعالى ، والمحبة له وفيه ، والمحبة معه .

■ **فالمحبة له وفيه** من تمام محبته ـ جلَّ وعلا ـ وموجباتها لا من قواطعها، فإن محبة المحبوب تقتضى محبة ما يحب ومحبة ما يعين على حبه ويوصل إلى رضاه وقربه،وكيف لا يحب المؤمن ما يستعين به على مرضاة ربه ويتوصل به إلى حبه وقربه؟

■ **وأما المحبة مع الله** فهي المحبة الشركية وهى كمحبة أهل الأنداد لأندادهم، كما قال الله ـ تبارك وتعالى ـ :﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٦٥] ، فأصل الشرك الذي لا يغفره الله هو الشرك في هذه المحبة ، فإن المشركين لم يزعموا أن آلهتهم وأوثانهم شاركت الرب ـ سبحانه ـ في خلق السماوات والأرض وإنما كان شركهم بها من جهة محبتها مع الله ، فوالوا عليها ، وعادوا عليها ، وتألهوها وقالوا هذه آلهة صغار تقربنا إلى الإله الأعظم ففرق بين محبة الله **أصلاً** ، والمحبة له **تبعاً** ، والمحبة **معه شركاً** .

---

(١) البخاري

وفي الحديث المتفق عليه ، قال رسول الله ﷺ : « **إذا أحبَّ اللَّهَ تعالى العَبْد نادى جبْريل إنَّ اللَّه تعالى يُحبُّ فُلاناً فأَحْببْهُ ، فيُحبُّهُ جبْريل ، فينادى في أهْل السَّمَاء إنَّ اللَّه يُحبُّ فُلاناً فأَحِبوهُ ، فيُحبُّهُ أهْلُ السَّماء ثُمَّ يوْضعُ له القبُولُ في الأَرْضِ** » ، وهذا مصداق قول الله ـ تبارك وتعالى ـ ﴿ **إنَّ الَّذين آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحَاتِ سيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدًّا** (٩٦) ﴾ [مريم : ٩٦] ، وداً في قلوب المؤمنين ؛ إلا حاسد مبغض لفساد قلبه أو كافر لعداوة الدين [(١)] .

---

(١) صحيح مسلم ، وإحياء علوم الدين ـ بتصرف

حُب النبي ﷺ

والنبي ـ ﷺ ـ يُحَب لصفاته ولأخلاقه العظيمة

فقد كان النبي ـ ﷺ ـ يمتاز من جمال خَلْقه وكمال خُلُقه بما لا يحيط بوصفه البيان ، وكان من أثره أن القلوب فاضت بإجلاله ، والرجال تفانوا في حياطته وإكباره بما لا تعرف الدنيا لرجل غيره ، فالذين عاشروه أحبوه إلى حد الهيام ، ولم يبالوا أن تندق أعناقهم ولا يخدش له ظُفْر، وما أحبوه كذلك إلا لأن أنصبته من الكمال الذي يحب عادة لم يرزق بمثلها بشر؛ وهذه ملخص الروايات في بيان جماله وكماله مع الاعتراف بالعجز عن الإحاطة .

فقد كان النبي ـ ﷺ ـ يمتاز بفصاحة اللسان ، وبلاغة القول ، وكان من ذلك بالمحل الأفضل ، والموضع الذي لا يجهل ، سلامة طبع ، ونصاعة لفظ ، وجزالة قول ، وصحة معان ، وقلة تكلف ، أوتي جوامع الكلم ، وخُصَّ ببدائع الحكم ، وعلم ألسنة العرب ، يخاطب كل قبيلة بلسانها ، ويحاورها بلغتها ، اجتمعت له قوة عارضة البادية وجزالتها ، ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها ، إلى التأييد الإلهي الذي مَددُه الوحي .

وكان الحلم والاحتمال ، والعفو عند المقدرة ، والصبر على المكاره ، صفاتٌ أدَّبه الله بها ، وكل حليم قد عرفت منه زلة ، وحفظت عنه هَفْوَة ،ولكنه ـ ﷺ ـ لم يزد مع كثرة الأذى إلا صبراً ، وعلى إسراف الجاهل إلا حلماً ، وقالت عائشة رضي الله عنها : ما خُيِّر رسول الله ـ ﷺ ـ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه ، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله بها، وكان أبعد الناس غضباً ، وأسرعهم رضاً .

وكان من صفة الجود والكرم على مالا يقادر قدره ، كان يعطي عطاء من لا

يخاف الفقر، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان النبي ـ ﷺ ـ أجود الناس ، وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل،وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآن ، فلرسول الله ـ ﷺ ـ أجود بالخير من الريح المرسلة ، وقال جابر ابن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ : ما سئل شيئاً قط فقال : لا ـ ﷺ ـ .

وكان من الشجاعة والنجدة والبأس بالمكان الذي لا يجهل،كان أشجع الناس، حضر المواقف الصعبة ، وفرَّعنه الكماة والأبطال غير مرَّة ، وهو ثابت لا يبرح ، ومقبل لا يدبر ، ولا يتزحزح ، وما شجاع إلا وقد أحصيت له فَرَّة ، وحفظت عنه جولة سواه ، قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ : كنا إذا حمي البأس واحمرت الحَدَقُ ، اتقينا برسول الله ـ ﷺ ـ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ؛ قال أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ : فزع أهل المدينة ذات ليلة ، فانطلق ناس قِبَلَ الصوت ، فتلقاهم رسول الله ـ ﷺ ـ راجعاً وقد سبقهم إلى الصوت ، وهو على فرس لأبي طلحة عُرْي ، في عنقه السيف وهو يقول : « **لم تُرَاعوا ، لم تُرَاعوا** » .

وكان أشد الناس حياءً وإغضاءً ، قال أبو سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ : كان أشد حياءً من العذراء في خِدْرها ، وإذا كره شيئاً عرف في وجهه ، وكان لا يثبت نظره في وجه أحد، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ، جُلُّ نظره الملاحظة ، لا يشافه أحداً بما يكره حياءً وكرم نفس ، وكان لا يسمي رجلاً بلغ عنه شيء يكرهه ، بل يقول : ما بال أقوام يصنعون كذا .

وكان أحق الناس بقول الفرزدق :

يغضي حياءً ويغضى من مهابته فلا يكلم إلا حين يبتسم

وكان أعدل الناس ، وأعفهم ، وأصدقهم لهجة ، وأعظمهم أمانة ، اعترف له بذلك مجاوروه وأعداؤه ، وكان يسمي قبل نبوته الأمين ، ويُتَحاكم إليه في الجاهلية قبل الإسلام ، روي الترمذي عن عليّ ـ رضي الله عنه ـ أن أبا جهل ـ لعنه الله ـ قال له : إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به ، فانزل الله تعالى فيهم : ﴿ **فَإِنَّهُمْ لا**

يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣) ﴾ [الأنعام :٣٣] ،وسأل هرقل أبا سفيان ـ رضي الله عنه ـ وكان قبل أن يُسلم، هل تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟، قال : لا .

وكان أشد الناس تواضعاً، وأبعدهم عن الكبر ، يمنع عن القيام له كما يقومون للملوك ، وكان يعود المساكين ، ويجالس الفقراء ، ويجيب دعوة العبد ، ويجلس في أصحابه كأحدهم ، قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ : كان يخصف نعله ، ويخيط ثوبه ، ويعمل بيده كما يعمل أحدكم في بيته ، وكان بشراً من البشر يَفْلِي ثوبه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه .

وكان أوفي الناس بالعهود ، وأوصلهم للرحم ، وأعظمهم شفقة ورأفة ورحمة بالناس ، أحسن الناس عشرة وأدباً ، وأبسط الناس خلقاً ، أبعد الناس من سوء الأخلاق ، لم يكن فاحشاً، ولا متفحشاً ، ولا لعاناً ، ولا صخاباً في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، وكان لا يدع أحداً يمشي خلفه ،وكان لا يترفع على عبيده وإمائه في مأكل ولا ملبس، ويخدم من خَدَمَه ، ولم يقل لخادمه أف قط ، ولم يعاتبه على فعل شيء أو تركه ، وكان يحب المساكين ويجالسهم ، ويشهد جنائزهم ، ولا يحقر فقيراً لفقره ؛ كان في بعض أسفارة فأمر بإصلاح شاة ، فقال رجل : عليَّ ذبحها ، وقال آخر : عليَّ سلخها ، وقال آخر عليَّ طبخها ، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **«وعليَّ جمع الحطب** ، فقالوا : نحن نكفيك ، فقال : **قد علمت أنكم تكفوني ولكني أكره أن أتميز عليكم ، فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه »** ، وقام وجمع الحطب .

ولنترك هند بن أبي هالة رضي الله عنه يصف لنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؛ قال هند فيما قال : كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ متواصل الأحزان ، دائم الفكرة ، ليست له راحة ، ولا يتكلم في غير حاجة ، طويل السكوت ، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه ـ لا بأطراف فمه ـ ويتكلم بجوامع الكلم، فصلاً، لا فضول فيه ولا تقصير ، دمثاً

ليس بالجافي ولا بالمهين ، يعظم النعمة وإن دقت ، لا يذم شيئاً ، ولم يكن يذم ذواقاً ـ ما يطعم ـ ولا يمدحه ، ولا يقام لغضبه إذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ، لا يغضب لنفسه ، ولا ينتصر لها ـ سماحة ـ وإذا أشار أشار بكفه كلها ، وإذا تعجب قلبها ، وإذا غضب أعرض وأشاح ، وإذا فرح غض طرفه ، جلّ ضحكه التبسم ، ويفترعن مثل حب الغمام ، وكان يخزن لسانه إلا عما يعنيه ، يؤلف أصحابه ولا يفرقهم ، يكرم كريم كل قوم ، ويوليه عليهم ، ويحذر الناس ، ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره .

يتفقد أصحابه ، ويسأل الناس عما في الناس ، ويحسن الحسن ويصوبه ، ويقبح القبيح ويوهنه ، معتدل الأمر ، غير مختلف ، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا ، لكل حال عنده عتاد ، لا يقصر عن الحق،ولا يجاوزه إلى غيره ، الذين يلونه من الناس خيارهم ، وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة .

كان لا يجلس ولا يقوم إلا علىِ ذكر،ولا يوطن الأماكن ـ لا يميز لنفسه مكاناً ـ إذا انتهي إلى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس ، ويأمر بذلك ، ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه ، من جالسه أو قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ، ومن ساله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول ، وقد وسع الناس بسطه وخلقه ، فصار لهم أباً ، وصاروا عنده في الحق متقاربين ، يتفاضلون عنده بالتقوى ، مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة ، لا ترفع فيه الأصوات ، ولا تؤبن فيه الحرم ـ لا تخشي فلتاته ـ يتعاطفون بالتقوى ، يوقرون الكبير ، ويرحمون الصغير ، ويرفدون ذا الحاجة ، ويؤنسون الغريب .

كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صَخَّاب، ولا فحَّاش ، ولا عتَّاب ، ولا مدَّاح ، يتغافل عما لا يشتهي ، ولا يقنط منه ؛ قد

ترك نفسه من ثلاث :الرياء ،والإكثار،وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: لا يذم أحداً ،ولا يعيِّرَه، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه، كأنما على رءوسهم الطير، وإذا سكت تكلموا؛ لا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ،حديثهم حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويعجب مما يعجبون منه،ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق، يقول: إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فأرفدو، ولا يطلب الثناء إلا من مكافئ.

وقال خارجة بن زيد ـ رضي الله عنه ـ : كان النبي ـ ﷺ ـ أوقر الناس في مجلسه ، لا يكاد يخرج شيئاً من أطرافه ، وكان كثير السكوت ، لا يتكلم في غير حاجة ، يعرض عمن تكلم بغير جميل ، كان ضحكه تبسماً ، وكلامه فصلاً لا فضول ولا تقصير، وكان ضحك أصحابه عنده التبسم توقيراً له وإقتداء به .

وعلى الجملة ، فقد كان النبي ـ ﷺ ـ محلي بصفات الكمال المنقطعة النظير، أدَّبه ربه فأحسن تأديبه، حتى خاطبه مثنياً عليه فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] ، وكانت هذه الخلال مما قرب إليه النفوس ، وحببه إلى القلوب ، وصيَّره قائداً تهوي إليه الأفئدة ، وألان من شكيمة قومه بعد الإباء ، حتى دخلوا في دين الله أفواجاً .

وهذه الخلال التي أتينا على ذكرها **خطوط قصار** من مظاهر كماله وعظيم صفاته ، أما حقيقة ما كان عليه من الأمجاد والشمائل فأمر لا يدرك كنهه ، ولا يسبر غوره ، ومن يستطيع معرفة كنه **أعظم بشر في الوجود** بلغ أعلى قمة من الكمال ، استضاء بنور ربه ، حتى صار خلقه القرآن ؟! .

فاللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صلَّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنَّك حَميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد [١] .

---

(١) الرحيق المختوم.

وقد علق الله ـ سبحانه وتعالى ـ سعادة الدارين على متابعته ، وجعل شَقاوة الدارين في مخالفته ، **فلأتباعه** الهدى والأمن والفلاح والعزة والكفاية والنصرة والولاية والتأييد وطيب العيش في الدنيا والآخرة **ولمخالفيه** الذِّلة والصغار والخوف والضلال والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة (١) .

ومما لا شك فيه أن محبة النبي ـ ﷺ ـ تابعة لمحبة الرب الرحيم الغفور ـ جلَّ وعلا ـ فمحبة الرسول ـ ﷺ ـ واجبة تابعة لمحبة الله ـ تعالى ـ لازمة لها، **فإنها محبة لله ولأجله** تزيد بزيادة محبة الله في قلب المؤمن وتنقص بنقصها ، وكل من كان محباً لله فإنما يحب في الله ولأجله كما يحب الإيمان والعمل الصالح ؛ وهذه المحبة ليس فيها شيء من شوائب الشرك كالاعتماد عليه ورجائه في حصول مرغوب منه أو دفع مرهوب منه ، وما كان فيها من ذلك فمحبته مع الله لما فيها من التعلق على غيره والرغبة إليه من دون الله،فبهذا يحصل التميز **بين المحبة في الله ولأجله** التي هي من كمال التوحيد ، **وبين المحبة مع الله** التي هي محبة الأنداد من دون الله لما يتعلق في قلوب المشركين من الإلهية التي لا تجوز إلا لله وحده (٢) .

أخي الكريم ـ والقرآن الكريم روح الإسلام ومادته ، وفي آياته المحكمة شرع دستوره وبسطت دعوته ، وقد تكفل الله بحفظه فصينت به حقيقة الدين ، وكتب لها الخلود أبد الآبدين ، والرجل الذي اصطفاه الله لإبلاغ آياته وحمل رسالته ، كان ـ قرآناً ـ حياً يسعى بين الناس ، كان مثالاً لما صوّره القرآن من إيمان وإخبات ، وسعي وجهاد ، وحق وقوة ، وفقه وبيان ، فلا جرم أن قوله وفعله وتقريره وأخلاقه وأحكامه ، ونواحي حيانه كلها تعد ركناً في الدين ، وشريعة للمؤمنين ؛ إن الله اختاره ليتحدث باسمه ويبلغ عنه، فمن أولى منه بفهم مراد الله فيما قال ؟، ومن أولى منه بتحديد المسلك الذي يتواءم مع دلالات القرآن القريبة والبعيدة ؟ .

---

(١) زاد المعاد.

(٢) قلب موصول بحب الرسول ـ ﷺ ـ .

إن تطبيق القانون لا يقل خطراً عن صياغته ، وللقانون نص وروح ، وعند علاج الأحداث المختلفة لتسير وفق القانون العتيد ، تجدُّ فتاوى، وتدون نصائح، وتحفظ تجارب وعبر ، وتثبت أحكام بعضها أقرب إلى حرفية النص وبعضها أدنى إلى روحه... وهكذا ...والقرآن هو قانون الإسلام، والسُّنَّة هي تطبيقه ، والمسلم مكلف باحترام هذا التطبيق تكليفه باحترام القانون نفسه ، وقد أعطى الله نبيه ـ ﷺ ـ حق الإتباع فيما يأمر به وينهى عنه ؛ لأنه ـ في ذلك ـ لا يصدر عن نفسه بل عن توجيه ربه ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم :٤] فطاعته هي طاعة الله ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠] وليست خضوعاً أعمى لواحد من الناس [١] .

فائدة:

اسم نبينا ـ ﷺ ـ **محمد** اسم مفعول من الحمد أي الذي جمع جميع خصال الحمد التي يستحق أن يُحمد عليها حمداً بعد حمد ، والذي حمد ربه ـ عز وجلَّ ـ له أكثر من حمده ـ تبارك وتعالى ـ لغيره ، وذلك يستلزم كثرة موجبات الحمد فيه ، **وأحمد** اسم تفضيل من الحمد أي الذي يستحق أن يُحمد أفضل مما يُحمد غيره من الخلائق ، والذي حمده لربه ـ عز وجلَّ ـ أفضل من حمد غيره ، **فمحمد** زيادة حمد في الكمية **وأحمد** زيادة حمد في الكيفية ، فهو أكثر وأفضل مَنْ حَمِدَ ربه ـ عز وجلَّ ـ ، وهو أكثر وأفضل مَنْ حمده ربُّه ـ عز وجلَّ ـ ، وهو أكثر وأفضل مَنْ يحمده أهل الدنيا والآخرة وأهل السماء والأرض ، ومَنْ كان أكثر وأعظم من غيره حمداً لربه ـ عز وجلَّ ـ ، كان حمد ربه ـ تبارك وتعالى ـ له أكثر وأعظم من حمده ـ تبارك وتعالى ـ لغيره من الخلائق فهو محمد ـ لأنه ـ أحمد ـ ﷺ ـ [٢] .

---

(١) فقه السيرة.

(٢) جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام .

ومحبة الرسول ـ ﷺ ـ على درجتين :

إحداهما : فرض ، وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به الرسول ـ ﷺ ـ من عند الله وتلقيه بالمحبة والرضا والتعظيم والتسليم، وعدم طلب الهدى من غير طريقه بالكلية،ثم حسن الإتباع له فيما بلغه عن ربه من تصديقه في كل ما أخبر، وطاعته فيما أمر به من الواجبات،والانتهاء عما نهى عنه من المحرمات، ونصرة دينه والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة ، فهذا القدر لابد منه ولا يتم الإيمان بدونه.

والثانية : فضل ، وهي المحبة التي تقتضي حسن التأسي به وتحقيق الإقتداء بسُنَّته ، وأخلاقه ، وآدابه ، ونوافله ، وتطوعاته ، وأكله ، وشربه ، ولباسه، وحُسن معاشرته لأزواجه ، وغير ذلك من آدابه الكاملة وأخلاقه الطاهرة [١] .

وزاد ابن حجر رحمه الله ـ في فتح الباري:ولا يتلقى شيئاً من المأمور والمنهيات إلا من مشكاته ،ولا يسلك إلا طريقته ويرضى بما شرعه ، حتى لا يجد في نفسه حرجاً مما قضاه ،ويتخلق بأخلاقه في الجود والإيثار والحلم والتواضع وغيرها . . . .

ومن علامات محبته ـ ﷺ ـ :

[١] كثرة ذكره ، فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره ـ ﷺ ـ .

[٢] كثرة الشوق إلى لقائه، فكل حبيب يحب لقاء حبيبه ـ ﷺ ـ.

[٣] تعظيمه وتوقيره عند ذكره ، وإظهار الخشوع والانكسار مع سماع اسمه ، وقد كان أصحاب النبي ـ ﷺ ـ بعده لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا ، وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقاً إليه ومنهم من يفعله تهيباً وتوقيراً .

[٤]حب سُنَّته ـ ﷺ ـ والعمل بها والوقوف عند حدودها .

[٥] حبه أمته والشفقة والنصح لهم والسعي في مصالحهم ورفع المضار

---

(١) استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس.

عنهم ، كما كان النبي ـ ﷺ ـ بالمؤمنين رءوفاً رحيماً .

[٦] الدعوة لدينه وهداية الناس بهديه ، وإخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام ، رحمة بهم كما كان حبيبهم الذي قال الله فيه :﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

[٧] أن يحب القرآن الذي أتى به النبي ـ ﷺ ـ وهدى واهتدى وتخلق به ، وحبه للقرآن يكون بتلاوته وتفهمه والعمل به .

[٨] محبة من أحب النبي ـ ﷺ ـ ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار ، وعداوة من عاداهم وبغض من أبغضهم وسبهم ، فمن أحب شيئاً أحب من يحبه ـ وقد قال النبي ـ ﷺ ـ في أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ وَالْحَسَنَ بن علي ـ رضي الله عنهما ـ : « **اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا** »[١] ،وَقَالَ في الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ :« **اللَّهُمَّ أَحْبِبْهُ وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ** » وورد بلفظ « **اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ ، فَأَحِبَّهُ ، وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ** » قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ راوي الحديث ـ فَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بَعْدَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ مَا قَالَ[٢]؛ وقال في أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ :« **لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ ـ أَوْ قَالَ لَيَأْخُذَنَّ ـ غَداً رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ـ أَوْ قَالَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ـ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ ، وَمَا نَرْجُوهُ ، فَقَالُوا هَذَا عَلِيٌّ ،فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ**»[٣] ، وقَالَ عَلِيٌّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ ـ ﷺ ـ إِلَيَّ أَنْ لاَ يُحِبَّنِي إِلاَّ مُؤْمِنٌ وَلاَ يُبْغِضَنِي إِلاَّ مُنَافِقٌ[٤] .

« وأَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ فَاطِمَةَ ـ رضي الله عنها ـ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ـ ﷺ ـ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ـ ﷺ ـ فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ مَعَ عَائِشَةَ فِي مِرْطِهَا فَأَذِنَ لَهَا ، فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ ،

---

(١) البخاري .
(٢) متفق عليه .
(٣) متفق عليه .
(٤) البخاري .

وعَائشَةَ سَاكتَةٌ ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّه ـ ﷺ ـ : **أَىْ بُنَيَّةُ أَلَسْت تُحبِّينَ مَا أُحبُّ** ، فَقَالَتْ بَلَى ، **قَالَ : فَأَحبِّى هَذه** »(١) ، « وعن عَمْرُو بْن الْعَاص ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ـ ﷺ ـ بَعَثَهُ عَلَى جَيْش ذَات السَّلاَسل فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ : أَىُّ النَّاس أَحَبُّ إِلَيْكَ ، **قَالَ : عَائشَةُ** ، قُلْتُ منَ الرِّجَال ، **قَالَ : أَبُوهَا** ، قُلْتُ ثُمَّ مَنْ ، **قَالَ : عُمَرُ ، فَعَدَّ رجَالاً** »(٢) .

وقال ـ ﷺ ـ : « **من عادى عماراً عاداه الله ،ومن أبغض عماراً أبغضه الله** »(٣) ودعا لأبى هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ فقال : « **اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا** ـ يَعْنى أَبَا هُرَيْرَةَ وَأُمَّهُ ـ **إِلَى عبَادكَ الْمُؤْمنينَ وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمنينَ** « قال أبو هريرة : فَمَا خُلقَ مُؤْمنٌ يَسْمَعُ بِى وَلاَ يَرَانى إِلاَّ أَحَبَّنى(٤)؛ وقال ـ ﷺ ـ عن الأنصار : « **الأَنْصَارُ لاَ يُحبُّهُمْ إِلاَّ مُؤْمنٌ ، وَلاَ يُبْغضُهُمْ إِلاَّ مُنَافقٌ ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ** »(٥)، وقال ـ ﷺ ـ : « **لَقَدْ أُنْزلَتْ عَلَىَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ لَهِىَ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْه الشَّمْسُ ، ثُمَّ قَرَأَ :﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾** [الفتح : ١](٦) .

[٩] ومن محبته ـ ﷺ ـ نصرته ونصرة سنته ـ ﷺ ـ والذَّبُّ عنه وعن شريعته ، **فيبذل ماله ونفسه وولده دونه ، ويقتدي به ويستن بسُنَّته ويتبع أقواله وأفعاله** ويمتثل أوامره ويجتنب نواهيه ويتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه ، وإيثار ما شرعه وحضَّ عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته وإسخاط العباد في رضا الله ـ تبارك وتعالى ـ(٧) .

[١٠] وخلاصة هذه العلامات ، الاشتياق إلى رؤيته ـ ﷺ ـ بحيث يؤثرها على أهله وولده ووالده وماله ، ويبذل نفسه في نصرته ونصرة دينه ، ويجد مصداق ذلك من نفسه وجداناً لا تردد فيه(٨) .

وحب المؤمن للنبي ـ ﷺ ـ يجعله معه في أعلى الجنة فـ« **الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ** »؛

---

(١) مسلم . (٢) متفق عليه . (٣) صحيح الجامع .
(٤) مسلم . (٥) متفق عليه . (٦) متفق عليه .
(٧)، (٨) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ .

وقد كان أصحابه رجالاً ونساءً في أعلى درجات الحب له ، « فعن أَنَس بْن مَالك ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : بَيْنَمَا أَنَا وَرَسُولُ اللَّه ـ ﷺ ـ خَارِجَيْنِ مِنَ الْمَسْجِد فَلَقِينَا رَجُلاً عِنْدَ سُدَّةِ الْمَسْجِد ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّه مَتَى السَّاعَةُ ، قَالَ رَسُولُ اللَّه ـ ﷺ ـ : **مَا أَعْدَدْتَ لَهَا** ، قَالَ : فَكَأَنَّ الرَّجُلَ اسْتَكَانَ ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّه مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صَلاَة وَلاَ صِيَامٍ وَلاَ صَدَقَةٍ وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، **قَالَ : فَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ** »(١) ؛ « وجاء رجل إلى النبي ـ ﷺ ـ فقال يا رسول الله إنك لأحب إليَّ من نفسي ، وإنك لأحب إليَّ من ولدى ، وإني لأكون في البيت فما أصبر حتى آتى فأنظر إليك ، وإذا ذكرت موتى وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وأنى إذا دخلت الجنة خشيت ألا أراك ، فلم يرد عليه النبي ـ ﷺ ـ شيئاً حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا (٧٠)** ﴾ [النساء : ٦٩ـ ٧٠] »(٢) .

وفى الحديث أيضاً : « ...... فبيْنا نحنُ عنْدهُ إذ ناداهُ أعْرابي بصوْت له جهوريٍّ يا مُحمَّدُ، فأجابهُ رسولُ الله ـ ﷺ ـ نحواً منْ صوْته : **هـاؤُمْ** ، فقُلْتُ لهُ : وَيْحَكَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتكَ فإنَّك عنْد النَّبيِّ ـ ﷺ ـ وقدْ نُهيت عَنْ هذا ، فقال والله لا أغضُضُ ، قَالَ الأعْرابيُّ : المَرْءُ يُحبُّ القَوم ولَمَّا يلْحق بهمْ ؟ ، قال النَّبيُّ ـ ﷺ ـ : **المْرْءُ مع من أَحَبَّ يوْمَ الْقيامة** »(٣) ، « وعن ربيعة بن كعب الأسلمى ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ وهو من أهل الصُفّة وخادم رسول الله ـ ﷺ ـ قال : كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُول اللَّه ـ ﷺ ـ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئه ـ ما يتوضأ به ـ وَحَاجَته، **فَقَالَ لِى : سَلْ** ، فَقُلْتُ : أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِى الْجَنَّة ، **قَالَ : أَوْ غَيْرَ ذَلكَ** ، قُلْتُ هُوَ ذَاكَ ، **قَالَ : فَأَعِنِّى عَلَى نَفْسكَ بِكَثْرَة السُّجُود** »(٤).

---

(١) مسلم.
(٢) الطبراني بإسناد حسن .
(٣) الترمذي وحسنه .
(٤) مسلم.

وبعد غزوة أُحد « ... مرَّ رسول الله ـ ﷺ ـ **بامرأة** من بنى دينار وقد أصيب **زوجها وأخوها وأبوها** مع رسول الله بأُحد ، فلما نُعوا لها **قالت فما فعل** رسول الله ؟ ، قالوا خيراً يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : أرونيه حتى أنظر إليه ؟ ، قال فأشير إليه ، حتى إذا رأته قالت : **كل مصيبة بعدك جلل ـ تريد صغيرة** »[١] ؛ و« أقبل رسول الله ـ ﷺ ـ حتى طلع على بنى الأشهل وهم يبكون على قتلاهم ـ أي يوم أُحد ـ **فقال : لكن حمزة لا بواكي له** ، فخرج **النساء** ينظرن إلى سلامته ـ ﷺ ـ فقالت أم عامر الأشهلية : **كل مُصيبة بعدك جلل** ـ تريد صغيرة ـ وجاءت أم سعد بن معاذ تعدو نحو رسول الله ـ ﷺ ـ وقد وقف على فرسه وسعد بن معاذ آخذ بعنان الفرس فقال سعد : يا رسول الله أمى ، فقال : مرحبا بها فدنت حتى تأملت رسول الله ـ ﷺ ـ **وقالت أمَّا إذا رأيتك سالماً فقد أشوت ـ هانت ـ المصيبة** »[٢] .

والمحب لرسول الله ـ ﷺ ـ حقاً يذب عنه ويتصدى لجميع المغرضين من الكافرين والمنافقين والمنهزمين والمستشرقين والمستغربين ، الذين يؤذون رسول الله ـ ﷺ ـ ويبثون سمومهم وأحقادهم في وسائل الإعلام المختلفة ووسائل الاتصال المتنوعة على سيد ولد آدم **محمد** ـ خاتم رسل الله ـ ﷺ ـ **وعلى آل بيته الأطهار ـ وعلى أمته خير الأمم** ـ حقداً وحسداً من عند أنفسهم ، وإيذاءً ومحاربة لله ولرسوله ولأولياء الله ـ جلَّ وعلا ـ ولإشاعة الفواحش في العالم أجمع ؛ وقد انتدب رسول الله ـ ﷺ ـ من أصحابه من يكفيه المشركين مع أن الله قد حفظه وكفاه ، فقال : « **مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ** »[٣] ، وقال لأبى قتادة رضي الله عنه حين كان يدعمه حتى لا يسقط من على راحلته : **حَفِظَكَ اللَّهُ بِمَا حَفِظْتَ بِهِ نَبِيَّهُ** »[٤] ، وقال لحسان بن ثابت رضي الله عنه حين كان ينتدب

---

(١) البيهقي بسند حسن. (٢) المنهج الحركي للسيرة النبوية.

(٣) ، (٤) مسلم .

للدفاع عنه : «اهْجُهُمْ ـ أَوْ هَاجِهِمْ ـ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ » (١) .

وكان مما قاله حسان بن ثابت رضي الله عنه :

فــإن أبـي ووالـدتي وعــرضـي　　لعــرض مــحــمــد منكم وقـــاءُ

ولم ينل شرف الدفاع عنه ـ ﷺ ـ الرجال فقط بل والله لقد تفانى جميع المسلمين في الدفاع عنه منَ **كهول ونساء** ، **بل والله حتى الغلمان** « فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي فَإِذَا أَنَا **بِغُلامَيْنِ مِنَ الأَنْصَارِ** حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا ، تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ: يَا عَمِّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟، قَالَ أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ ـ ﷺ ـ ، **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ لاَ يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الأَعْجَلُ مِنَّا**، فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ ، فَغَمَزَنِي الآخَرُ فَقَالَ لِي مِثْلَهَا ، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ ، قُلْتُ: أَلاَ إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي ، فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلاهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ـ ﷺ ـ فَأَخْبَرَاهُ، فَقَالَ: « **أَيُّكُمَا قَتَلَهُ** » ، قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا : أَنَا قَتَلْتُهُ ، فَقَالَ : « **هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا** » ، قَالاَ : لاَ ، فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ فَقَالَ : « **كِلاَكُمَا قَتَلَهُ** » (٢) ، **والغلامين هما مُعَاذُ ابْنَ عَفْرَاءَ وَمُعَاذَ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ** رضي الله عنهما .

وهذا الشرف ليس قاصراً على صحابته الأخيار فقط ، **بل من فضل الله** ـ تبارك وتعالى ـ على هذه الأمة المباركة أنه باقٍ إلى يوم القيامة لمن أراد القرب من حبيب الرحمن ـ **محمد** ـ ﷺ ـ في الفردوس الأعلى يوم القيامة، فالدفاع عن النبي ـ ﷺ ـ والذَّبُّ عنه وعن آل بيته وعن دينه وعن أمته شرف ورفعة ما بعده شرف .

قال التابعي الصالح أبو مسلم الخولاني ـ رحمه الله ـ : أيظن أصحاب محمد ـ ﷺ ـ أن يستأثروا به دوننا ، كلا والله ، لنُزاحمنَّهم عليه زحاماً ، حتى

---

(١) ، (٢) متفق عليه .

يعلموا أنهم قد خلَّفوا وراءهم رجالاً ؛ وقد قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ [الحج : ٤٠] .

وفى جميع ما ذكرنا عبرة وتذكرة لكل محب صادق لسيد ولد آدم ـ حبيب الرحمن ـ **محمد** ﷺ ! .

ومن دعا إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ وعلَّم الناس دينهم وحضَّهم عليه بنية التقرب إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ بتوفير أجور جميع المطيعين لرسول الله ـ ﷺ ـ مع توفيتهم أجورهم كاملة ، وهى أن النبي ـ ﷺ ـ له من الأجر الزائد على أجر عمله مثل أجور من اتبعه ، كان له من الأجر في دعوته وتعليمه بحسب هذه النية ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (١) .

فوائد الصلاة على النبي ـ ﷺ ـ :

[١] امتثال أمر الله وموافقته ـ جلَّ وعلا ـ وملائكته في الصلاة على النبي ﷺ ؛ ويرفع للعبد عشر درجات في الجنة ، ويمحى عنه عشر سيئات ، ويكتب له عشر حسنات، وسبباً لصلاة الله على المصلي،وحصول عشر صلوات من الله مضاعفة ، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** (٥٦) ﴾ [الأحزاب : ٥٦] ، وقال رسوله ـ ﷺ : « **من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشر صلوات ، وحط عنه عشر خطيئات ، ورفع له عشر درجات** » (٢) .

[٢] وأداء لأقل القليل من حقه « فقد أمر رسول الله ـ ﷺ ـ بكبش أقرن يطأ في سواد وينظر في سواد ويبرك في سواد ، فأتي به فضحى به فقال : **يا عائشة هلمي المدية ثم قال : اشحذيها بحجر ، ففعلت ، فأخذها وأخذ الكبش فأضجعه وذبحه ، وقال : بسم الله اللهم تقبل من محمد وآل محمد ومن أمة محمد ، ثم ضحى به ـ ﷺ ـ** » (٣) .

---

(١) جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ـ بتصرف .

(٢) صحيح الجامع .

(٣) صحيح سُنن أبو داود .

[٣] وللقرب منه يوم القيامة ، لقوله ـ ﷺ : « **أكثروا عليَّ من الصلاة في كل يوم جمعة ، فإن صلاة أمتي تعرض عليَّ في كل يوم جمعة ، فمن كان أكثرهم عليَّ صلاة كان أقربهم مني منزلة** » (١) ، وقوله : « **أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة** » (٢) ، وأولى الناس بي أي أحقهم بشفاعتي وأقربهم مني مجلساً يوم القيامة .

[٤] ولنيل شفاعته يوم القيامة ، لقوله ـ ﷺ ـ: « **إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ** » (٣) .

[٥] ولاستجابة الدعاء ، فقد « سمع رسول الله ـ ﷺ ـ رجلاً يدعو في صلاته لم يمجد الله تعالى ولم يصلِّ على النبي ـ ﷺ ـ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ **عجّل هذا ثم دعاه فقال له أو لغيره :إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه ـ عز وجلَّ ـ والثناء عليه ، ثم يصلي على النبي، ثم يدعو بعد بما شاء** » (٤) ، ويقول أحد الصحابة : « بينا رسول الله ـ ﷺ ـ قاعد إذ دخل رجل فصلى فقال : اللهم اغفر لي وارحمني ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : **عجلت أيها المصلي ، إذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو أهله ، وصلِّ عليَّ، ثم ادعه** ، قال : ثم صلى رجل آخر بعد ذلك فحمد الله وصلى على النبي ـ ﷺ ـ فقال له النبي ـ ﷺ ـ : **أيها المصلي ادع تجب** » (٥) .

[٦] ولهداية العبد إلى طريق الجنة ، لقوله ـ ﷺ : « **من نسي الصلاة عليَّ خطئ طريق الجنة** » (٦) .

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب .
(٢) الترمذي وحسنه .
(٣) مسلم .
(٤) صحيح سنن أبو داود .
(٥) صحيح الترغيب والترهيب .
(٦) صحيح سنن بن ماجة .

[٧] ولمغفرة الذنوب ، لقوله ـ ﷺ ـ : « **إن لله سيارة من الملائكة إذا مروا بحلق الذكر قال بعضهم لبعض : اقعدوا فإذا دعا القوم أمّنوا على دعائهم ؛ فإذا صلوا على النبي ـ ﷺ ـ صلوا معهم حتى يفرغوا ، ثم يقول بعضهم لبعض : طوبى لهؤلاء يرجعون مغفوراً لهم** » (١) .

[٨] ولنفي تسمية العبد بالبخيل ، لقوله ـ ﷺ ـ : « **البخيل الذي من ذُكرت عنده فلم يصلِّ علي** » (٢) .

[٩] وسبب لعرض اسم المصلي على الرسول ـ ﷺ ـ في قبره ، لقوله ـ ﷺ ـ: « **إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أُمتي السلام** » (٣) ، وقوله : « **أكثروا الصلاة عليَّ يوم الجمعة ، فإنه مشهود ، تشهده الملائكة ، وإن أحداً لن يصلي عليَّ إلا عرضت عليَّ صلاته حتى يفرغ منها** ، قال : قلت : وبعد الموت ، **قال : وبعد الموت ، إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فنبي الله حي يرزق** » (٤) .

[١٠] سبب لكفاية العبد ما أهمه وقضاء حوائجه فـ« عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله ، إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي ؟، **فقال : ما شئت** ، قلت: الربع ، **قال : ما شئت ،فإن زدت فهو خير لك** ، قلت : فالنصف؟، **قال :ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك**، قلت: فالثلثين ؟، **قال : ما شئت، فإن زدت فهو خير لك** ، قلت: أجعل لك صلاتي كلها ، قال : **إذن يكفى همك ويغفر لك ذنبك** » (٥) .

وسُئل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عن تفسير هذا الحديث فقال : كان لأبيّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ دعاء يدعو لنفسه فسأل النبي ـ ﷺ ـ هل يجعل له منه ربع صلاته عليه ـ ﷺ ـ « **قال : ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك**، قلت:

---

(١) البزار . (٢) صحيح جامع الترمذي . (٣) صحيح سُنن النسائي .
(٤) سُنن بن ماجة . (٥) صحيح جامع الترمذي.

فالنصف؟ ، **قال : ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك** ، قلت : فالثلثين ؟، **قال : ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك** ، قلت : أجعل لك صلاتي كلها ، **قال : إذن يكفى همك ويغفر لك ذنبك** » ، لأن من صلى على النبي صلاة صلى الله عليه بها عشراً ، ومن صلى الله عليه كفاه همه وغفر له ذنبه .

[١١] وتؤدى إلى دوام محبة الرسول ـ ﷺ ـ وزيادتها وتضاعفها ، لأن كثرة ذكر الشيء توجب دوام محبته وزيادتها ، ونسيانه سبب لزوال محبته أو على الأقل إضعافها .

[١٢] وتعتبر من ذكر الله ـ عز وجلَّ ـ .

فاللهم صلِّ على سيدنا **محمد** صلاة تملأ أقطار السماوات والأرض ، وصلى عليه مقدار ما صُلِّيَ عليه فيما مضى ، وصلى عليه مقدار ما يُصَلى عليه في جميع ما بقى .

ويوم الجمعة آكد الأيام التي يستحب فيها الصلاة عليه لقوله ـ ﷺ ـ : **«أكثروا الصلاة عليَّ يوم الجمعة وليلة الجمعة ...»**[1] .

فائدة جليلة :

صلاة الله عز وجلَّ على المعصوم ـ ﷺ ـ معناها ثناؤه عليه عند الملائكة المقربين، يؤيده أن لفظ الصلاة عليه ـ اللهم صلِّ على محمد ـ مُعدى بعلى، والثناء يُعدى أيضاً بعلى ، أما صلاة **الملائكة** على المعصوم ـ ﷺ ـ فيمكن أن يفهم منها معنى الثناء عليه فيما بينهم في الملأ الأعلى ، ويمكن أن يفهم منها سؤالهم الله له بمجامع الخير سؤالاً لازماً ، تشريفاً لأنفسهم بمباشرة ذلك ، مثلما شرَّفوا أنفسهم بالسجود لآدم ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ امتثالاً لأمر الحق ـ عز وجلّ ـ ، أما صلاة **الأمة المحمدية** على المعصوم ـ ﷺ ـ فهي الابتهال إلى الله ـ عز وجلَّ ـ أن يتولى هو الصلاة عليه بما يليق بكماله ـ ﷺ ـ فهي من **الله** الثناء ، ومن **الملائكة**

---

(١) صحيح الجامع.

الثناء أيضاً مع الدعاء له تشريفاً لأنفسهم بمباشرة ذلك ، **ومنَّا** الدعاء .

وصلاة **الله** ـ عز وجلَّ ـ على أمة المعصوم ـ ﷺ ـ المعنى الأليق بها هو التطهير لها بالمغفرة والتزكية والتشريف بالذكر،وهي أمور متغايرة في مدلولاتها وتأثيراتها ، أما صلاة **الملائكة** على أمة المعصوم ـ ﷺ ـ فهي استغفارهم ودعاؤهم لهم ، يقول الله ـ عز وجلَّ ـ : ﴿ **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩)** ﴾ [غافر: ٧ – ٩] .

والحق ـ عز وجلَّ ـ حين أمرنا بالصلاة عليه بعد صلاته هو وملائكته عليه ـ ﷺ ـ كان ذلك رحمة لنا نحن وإظهاراً لتعظيمه ـ ﷺ ـ ليثيبنا الله ـ تبارك وتعالى ـ على ذلك ، فهو أمر تشريف لنا لنحظى بشرف طلب ذلك له من ربه الذي سيعطيه ما يليق به ـ **وإن لم نُصلِّ نحن عليه** ـ والفائدة الحقيقية راجعة إلينا ، وليس للنبي ـ ﷺ ـ وإلا فصلاة الله ـ عز وجلَّ ـ وحده عليه كافية، ومن ثمَّ كان جزاء من طلب ذلك له ـ ﷺ ـ أن يصلي الله ـ عز وجلَّ ـ عليه بكل واحدة عشراً ؛ وكلُ أمر رسول الله ـ ﷺ ـ فائدته عائدة علينا نحن ، فهو رحمة الله لنا خاصة وللعالمين عامة .

بعض واجباتنا تجاه النبي ـ ﷺ ـ :

[١] التصديق بما جاء به النبي ـ ﷺ ـ ؛ لقول الله ـ تبارك وتعالى ـ :﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧)** ﴾ [الأعراف :١٥٧]، وقول رسوله ـ ﷺ ـ :

« وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ »(١) .

[٢] طاعة أمره وترك ما نهى عنه ، لقول الله ـ عز وجلَّ ـ : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ﴾ [النساء : ٦٩] ، ومنه أن يرى العبد أن طاعة أمر رسول الله ومحبته ـ ﷺ هي عين طاعة أمر الله ومن محبته ، قال الله ـ عز وجلَّ ـ : ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء : ٨٠] ، وقال ـ جلَّ شأنه ـ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] ، وقد ذكر الله ـ تبارك وتعالى ـ طاعة الرسول ـ ﷺ ـ في ثلاث وثلاثين موضعاً في القرآن الكريم .

قال المطيع :

وأنت باب الله ، أي امرىء أتاه من غيرك لا يدخل

[٣] الاقتداء به قولاً وعملاً والحذر من مخالفته، لقول الله ـ عز وجلَّ ـ :﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً (٢١) ﴾ [الأحزاب : ٢١] ، قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ في الرسالة، وقد سنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ مع كتاب الله ، وسنَّ فيما ليس فيه بعَيْنه نصٌّ كتاب ، وكل ما سنَّ فقد ألزمنا الله اتباعه ، وجعل في اتباعه طاعته وفي العُنُود عن اتباعها معصيتَه التي لم يعذر بها خَلْقاً ، ولم يجعل له من اتباع سنن رسول الله ـ ﷺ ـ مخرجاً لما وصفتُ ، وما سَنَّ رسول الله فيما ليس لله فيه حكمٌ فبحُكْم الله سُنَّه ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ :﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ ﴾ [الشورى :٥٢-٥٣] ، وقال رسوله ـ ﷺ : « لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئاً عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ : لاَ أَدْرِي مَا

---

(١) مسلم .

وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ اتَّبَعْنَاهُ »[١] ، وقال أيضاً : « ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه »[٢] .

[٤] التحاكم إليه ـ ﷺ ـ عند التخاصم مع الرضي التام بحكمه ، لقول الله ـ عز وجلَّ ـ : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء : ٦٥] .

[٥] تعظيمه وتوقيره وتعزيره ـ ﷺ ـ **والتعزير** : اسم جامع لنصرته وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه والذَّبُّ عنه وعن سُنَّته بالرد على كل المتطاولين عليه وعلى سنته وكشفهم للناس حتى لا تنفذ سمومهم وشبههم إلى جموع المسلمين البسطاء ؛ **والتوقير** : اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام ، فحرمة النبي ـ ﷺ ـ بعد موته ، وتوقيره وتعظيمه لازم ـ كما كان حال حياته ـ وكذلك عند ذكره وذكر حديثه وسماع اسمه ـ فلا يذكره باسمه مجرداً ، بل بوصف النبوة أو الرسالة . . . وكان الإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ إذا أراد أن يحدّث بحديث رسول الله ـ ﷺ ـ اغتسل وتطيب ولبس أحسن ثيابه ثم خرج فحدَّث ، وذكر عنه أنه سُئل عن أيوب السختياني ـ رحمه الله ـ فقال : ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه . . . قال : وحج حجتين ، فكنت أرمقه فلا أسمع منه غير أنه كان إذا ذكر النبي ـ ﷺ ـ بكى حتى أرحمه ، فلما رأيت منه ما رأيت وإجلاله للنبي ـ ﷺ ـ كتبت عنه .

وكان مالك ـ رحمه الله ـ إذا ذَكَرَ النبي ـ ﷺ ـ يتغير لونه وينحني، حتى يصعب ذلك على جلسائه . . . فقيل له يوماً في ذلك ، فقال : لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم على ما ترون ، لقد كنت أرى محمد بن المُنْكَدِر ، وكان سيِّد القراء ، لا نكاد نسأله عن حديث أبداً إلا يبكى حتى نرحمه ؛ ولقد كنت أرى جعفر بن محمد ، وكان كثير الدعابة والتبسم ، فإذا ذكر عنده النبي ـ ﷺ ـ اصفر لونه ،

---

(١) ، (٢) صحيح سنن أبي داود .

وما رأيته يحدث عن رسول الله ـ ﷺ ـ إلا على طهارة ... ولقد اختلفت إليه زماناً فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال : إما مصلياً ، وإما صامت ، وإما يقرأ القرآن ...ولا يتكلم فيما لا يعنيه، وكان من العلماء والعبَّاد الذين يخشون الله ، ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبى ـ ﷺ ـ فينظر إلى لونه كأنه نزف منه الدم ، وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله ـ ﷺ ... ولقد كنت آتى عامر بن عبد الله بن الزبير ، فإذا ذكر عنده النبى ـ ﷺ ـ بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع ... ولقد رأيت الزهري ، وكان لِمَنْ أهنأ الناس وأقربهم ، فإذا ذكر عنده النبى ـ ﷺ ـ فكأنه ما عرفك ولا عرفته ... ولقد كنت آتى صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين ، فإذا ذكر النبي ـ ﷺ ـ بكى ، فلا يزال يبكى حتى يقوم الناس عنه ويتركوه ـ رحمة الله عليهم أجمعين .

وليقس المحب حبه وتوقيره لرسول الله ـ ﷺ ـ على حب الصحابة وحب هؤلاء وتوقيرهم لرسول الله ـ ﷺ .

[٦] عدم رفع الصوت فوق صوت النبي ـ ﷺ ـ لقول الله ـ عز وجلَّ ـ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣)** ﴾ [الحجرات : ٢-٣] ، حتى بعد وفاته عند قبره ، ومنه الوقوف عند كلامه والتزام نهجه وعدم تعديه ـ ﷺ .

قال المطيع :

دعوا كل قولٍ عند قول محمدٍ فما آمنٌ في دينه كمخاطرِ

[٧] الصلاة والسلام عليه ـ ﷺ ـ ، لقول الله ـ عز وجلَّ ـ : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب : ٥٦] ،

والصلاة من الله ثناؤه عليه ورحمته له وذكره له في الملأ الأعلى، والسلام عليه يتضمن سلامته من كل آفة، فقد جمعت الصلاة عليه والتسليم جميع الخيرات.

[٨] تقديم محبته على النفس والولد والوالد والناس جميعاً، لقول الله ـ عز وجلَّ ـ : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤) ﴾ [التوبة : ٢٤] ، وقول رسوله ـ ﷺ : « لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ »(١) .

[٩] عدم الكذب عليه ـ ﷺ ـ ، لقوله ـ ﷺ ـ : « لاَ تَكْذِبُوا عَلَيَّ ، فَإِنَّهُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَلِجِ النَّارَ »(٢) .

[١٠] تبليغ دعوته ورسالته ـ ﷺ ـ لقول الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ ﴾ [آل عمران : ١٨٧] ، وقول رسوله : « نضَّر الله امرءً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه ، فربَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ »(٣) .

[١١] التمسك بسُنَّته والدفاع عنها ضد المحرفين والمبتدعين ، لقوله ـ ﷺ ـ : « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن أمّر عليكم عبد حبشي ، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسُنَّة الخلفاء المهديين الراشدين ، تمسكوا بها وعضّوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة »(٤) ، ويكون ذلك أيضاً بإحياء سُنَّته وإقامة شريعته وبيان ذلك للناس ، وبإماتة البدعة وإذلال أهل بغضه وأعداء دينه ؛ ولو بذل في سبيل ذلك النفس والنفيس .

---

(١) ، (٢) متفق عليه .
(٣) صحيح الجامع.
(٤) صحيح الجامع

[١٢] سؤال الوسيلة له بعد الأذان، لقوله ـ ﷺ ـ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلاَةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّداً الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ »[١] ، والوسيلة هي القرب من الله تعالى ، وقيل هي الشفاعة يوم القيامة ، وقيل هي منزلة من منازل الجنة كما جاء في الحديث .

[١٣] محبة أهل بيته وصحابته الكرام ـ رضي الله عنهم ـ ، لقوله ـ ﷺ : « ... أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي »[٢] ، وعن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ موقوفاً عليه أنه قال : « ارْقُبُوا مُحَمَّداً ـ ﷺ ـ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ »[٣]، وارقبوا أي راعوه واحترموه وأكرموه ، و« عن جميع بن عمير ـ رحمه الله ـ قال : دخلت مع عمتي على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فسألت أي الناس كان أحب إلى رسول الله ـ ﷺ ـ ؟، قالت : فاطمة ، فقيل من الرجال ؟، قالت : زوجها ، إن كان ما علمت صواماً قواماً »[٤] .

وقد قبَّل زيد بن ثابت الأنصاري يد عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ وقال : هكذا أُمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ؛ وقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، قَالَ عِمْرَانُ فَلاَ أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلاَثاً ، ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْماً يَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ ،وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ ، وَيَنْذُرُونَ وَلاَ يَفُونَ ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ »[٥] .

وقال أيضاً :«النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ »[٦] .

---

(١) البخاري (٢) صحيح الجامع (٣) البخاري.
(٤) صحيح مشكاة المصابيح (٥) متفق عليه. (٦) مسلم.

وقال أيضاً مزكّياً أصحابه الذين رباهم بنفسه فنصروه وعاشوا على هديه ، ومحذراً في نفس الوقت من ترك هَدْيه وهَدْى أصحابه ﷺ : « **وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة ، كلهم في النار إلا ملة واحدة ، ما أنا عليه وأصحابي** » (١).

وهذا لأن الله ـ تبارك وتعالى ـ اصطفى الصحابة الكرام من بين سائر الأمم ، واختارهم لصحبة نبيه ونصرة دينه ، وزكّاهم في كتابه الكريم في مواضع كثيرة ، مثل قوله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾ [آل عمران : ١١٠] ، وقوله ـ جلَّ وعلا ـ : ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾** ﴾ [الفتح : ١٨] وقوله ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾** ﴾ [التوبة : ١٠٠] ، والآيات في ذلك كثيرة ولا ينكرها إلا حاسد أو معاند أو ...

وقد حذر النبي ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ من سبّ أصحابه الكرام ـ ﷺ ـ ، فقال : « **لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي . لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي . فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ ، وَلاَ نَصِيفَهُ** » (٢) ونَصِيفَهُ أي نصف المد ، وأمر بعدم الخوض في حقهم بأي شيء قد يفهم منه الانتقاص من شأنهم ـ ولو بمجرد كلمة ـ فقال : « **إذا ذُكِرَ أصحابي فأمسكوا ...** » (٣) وشدَّد بقوله : « **من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين** » (٤) ، هذا وقد نقل الإمام ابن كثير في تفسيره لسورة النور إجماع العلماء قاطبة على أن من سبَّ أم المؤمنين عائشة بنت الصدِّيق ـ ﷺ ـ ورماها بما رماها به بعد أن زكّاها الله ـ جلَّ وعلا ـ وبرأها في كتابه الكريم فإنه كافر ـ لأنه

(١) صحيح الجامع . (٢) البخاري . (٣) ، (٤) صحيح الجامع .

معاند للقرآن – وفي حكم سب بقية أمهات المؤمنين قولان : أصحهما أنهن مثلها ، والله أعلم .

وكيف يُعد من سب أم المؤمنين عائشة الصدِّيقة بنت الصدِّيق ـ رضي الله عنهما ـ مؤمناً وهو قد سب حبيبة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وبنت حبيبه ـ رضي الله عنهما ـ ورسول الله لا يُحب إلا لله وفى الله ، وكذلك هي الطيبة بنت الطيب التي اختارها الله لأطيب خلقه ـ محمد ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ **وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** ﴾ [النور: ٢٦] ، ونؤكد أنها وسائر أمهات المؤمنين من آل البيت ـ بيت رسول الله ـ ﷺ ـ بصريح القرآن الكريم ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ **يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣)** ﴾ [الأحزاب: ٣٢-٣٣] .

بل وكيف يُعد من سب أبا بكر الصدِّيق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان – رضي الله عنهم أجمعين ـ مؤمناً وقد قال في حقهم لَمَّا « صَعِدَ النبيُّ ـ ﷺ ـ أُحُداً ومعَه أبو بكرٍ وعمرُ وعثمان ، فرَجفَ ، فقال : **اسكُنْ أُحُدُ ـ أظنُّه ضَرَبَه برجله ـ فليسَ عليكَ إلا نبيٌّ ، وصدِّيقٌ ، وشَهيدان** »(١) ، وقال عن أبى بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ : « **إن أهل الدرجات العلى يراهم من هو أسفل منهم كما ترون الكوكب الطالع في أفق السماء ، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما** »(٢) ، بل إنهما ـ رضي الله عنهما ـ كما قال أيضاً : « **أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ، إلا النبيين والمرسلين** »(٣) لذلك أمرنا بالإقتداء بهم والاستنان بسنتهما فقال : « **اقتدوا باللذين من بعدي ، أبي بكر وعمر** »(٤)

(١) البخاري . (٢) ، (٣) ، (٤) صحيح الجامع .

كيف لا وقد رباهم بنفسه وكانا ـ رضي الله عنهما ـ أيضاً له في الحب والقرب والنصرة بمنزلة السمع والبصر،لذا قال عنهما :«**هذان السمع والبصر ـ يعني أبا بكر وعمر**»(١).

وهذا أمير المؤمنين على بن أبى طالب ـ رضي الله عنه ـ والذي يزعم الشيعة الروافض ـ في إيران وأتباعهم في العراق ولبنان وغيرها من الأقطار ـ حبهم له وإقتدائهم به ! ـ يقول في حقهما : « **ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها ، أبو بكر وعمر** »(٢) وهذا أيضاً حبر الأمة عبد الله ابنَ عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ ومن آل البيت أيضاً ـ يقول في الحديث المتفق عليه : « وُضِعَ عمرُ على سريره ، فتكنَّفه الناسُ يَدعونَ ويُصلُّونَ قبلَ أن يُرفَعَ ـ وأنا فيهم ـ فلم يَرُعْني إلا رجلٌ آخِذٌ مَنكِبي ، فإذا عليُّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فترحَّمَ على عمرَ وقال : ما خلَّفتَ أحداً أحبَّ إليَّ أن ألقى اللَّهَ بمثلِ عمله منكَ ، وايمُ الله إنْ كنتُ لأظنُّ أن يَجعلكَ اللَّهُ مع صَاحِبَيكَ ، وحسبتُ أني كثيراً أسمعُ النبيَّ ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ يقول : **ذهبتُ أنا وأبو بكرٍ وعمر ، ودخلت أنا وأبو بكرٍ وعمر ، وخرَجتُ أنا وأبو بكر وعمر** ».

ونختم بكلام عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ والذي أمرنا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ بالتمسك بعهده وتصديق كلامه بقوله : « ... **وتمسكوا بعهد ابن مسعود** »(٣) وفي رواية : « ... **وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه**»(٤) قال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته ، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه ، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيء (٥).

---

(١) صحيح في ظلال الجنة . (٢) ، (٣) ، (٤) صحيح الجامع . (٥) أحمد .

وواجبنا نحوهم ـ واعترافاً بفضلهم وحقهم ـ أن نحبهم ونوقرهم وندعوا لهم ونترحم عليهم ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ امتثالاً لقول الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر: ١٠] ، ونسكت عما وقع بين بعضهم من خلاف ، فأحدهم مصيب له أجران والآخر مجتهد له أجر ، ولا نظن بهم إلا الخير ، و ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [البقرة : ١٣٤] .

ونحن في هذا الصدد وفي هذا العصر الذي تكالبت فيه كل قوى الشر ، من الصليبيين واليهود ، والملحدين ، ومن والاهم من بني جلدتنا . . . وخصوصاً بعد تهديد قوى الشر تلك لنا جميعا ـ أهل سنة وشيعة ـ نقترح إعادة العمل بيننا وبين الشيعة ، بوثيقة الرضا ـ وهي وثيقة تاريخية سجلت المناظرات بين أحد علماء السنة ، وهو الإمام/عبد الله بن مرعي بن ناصر الدين السويدي أبو البركات الفقيه البغدادى ـ توفي ١١٧٤هـ ـ وبين علماء الشيعة في النجف ، في وجود الملك نادر شاه ، ملك إيران حينذاك ، وقد توصل المتناظرون فيها إلي الاتفاق علي أن : « النبي ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، وأن إجماع الصحابة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ حجة قطعية ، وأن أفضل الصحابة وأخيرهم وأعلمهم هو أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وقد أجمع الصحابة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ واتفقوا علي بيعته ، حتى الإمام علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ بايعه بطوعه واختياره من غير جبر ولا إكراه ، فتمت له ـ لأبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ البيعة والخلافة .

وكذلك خلافة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ صحيحة لمبايعة الصحابة له ، ومنهم علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ والشيخان أبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ إمامان عادلان قاسطان كانا علي الحق وماتا عليه ، والإتفاق أيضاً علي أن ما قام به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ جعل الخلافة في ستة من الصحابة وأذكى مبدأ الشورى .

وأن خلافة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ باتفاق الصحابة أجمعين ومنهم علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ ، وبعد قتل عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ اتفق الصحابة على خلافة علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ من غير تنازع ولا تخاصم، والإقرار بالخلافة على الترتيب . . . أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ، ولا يجوز سبهم أو انتقاصهم ، ومن يفعل ذلك فهو حلال الدم والمال والولد وعليه لعنة الله وملائكته وكتبه ورسله والناس أجمعين »[١] .

ونزيد على **وثيقة الرضا** هذه ما ذكرناه سابقاً ـ في الكلام عن شهادة التوحيد ـ من الاحتراز من نواقض هذه الكلمة المباركة والتي تخرج المرء من نور الإسلام إلي ظلمات الكفر والشرك ، وإن تلفظ بها المرء بلسانه ! .

الحب والإخوة في الله :

قال رسول الله ـ ﷺ : « **ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ بهنَّ حَلاَوَةَ الإِيمَان ، أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْه ممَّا سواهُما ، وَأَنْ يُحبَّ المَرْءَ لا يُحبُّهُ إِلاَّ للَّه ، وَأَنْ يَكْرَه أَنْ يَعُودَ في الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ منْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ في النَّار**»[٢]، وفى الحديث أيضاً عن أبى مالك الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال : « . . . ثم إن رسول الله ـ ﷺ ـ لما قضى صلاته أقبل علينا بوجهه فقال : **يا أيها الناس :اسمعوا واعقلوا واعلموا أن لله عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم النبيون والشهداء على منازلهم وقربهم من الله** ، فجاء رجل من الأعراب من قاصية الناس وألوى بيده إلى النبي ـ ﷺ ـ فقال : يا نبي الله ناس من الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله ؟ ، انعتهم لنا ـ يعنى صفهم لنا ـ فسُر وجه النبي ـ ﷺ ـ لسؤال الأعرابي فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: **هم ناس من أفناء الناس ونوازع القبائل لم تصل بينهم أرحام متقاربة ،**

---

(١) نقلاً عن كتاب عقائد الشيعة في ضوء الكتاب والسُّنّة وصحيح التاريخ .

(٢) متفق عليه .

تحابوا في الله وتصافوا ، يصنع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها فيجعل وجوههم نوراً وثيابهم نوراً ، يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون ، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (١) .

ويؤيده قول الله ـ عز وجلَّ ـ في الحديث القدسي : « المُتَحَابُّونَ في جَلالي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمْ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ » (٢) ، وفي رواية « المتجالسون في الله والمتزاورون في الله » ، وقالَ اللَّهُ ـ تبارك وتعالى ـ أيضاً في الحديث القدسي : « وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فيَّ ، والمُتَجَالِسِينَ فيَّ ، وَالمُتَزَاوِرِينَ فيَّ ، وَالمُتَبَاذِلِينَ فيَّ » (٣) وقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إن اللَّه تعالى يقولُ يوْمَ الْقيامة : أَيْنَ المُتَحَابُّونَ بِجَلالِي ؟ ، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ في ظِلِّي ، يَومَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلِّي » (٤) ، و« إن أهل الجنة ليرون من فوقهم كما ترون الكوكب الدري في أفق السماء ، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما » (٥) ، و« إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّة يَتَراءَيُونَ أَهْلَ الْغُرَف مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا يَتَرَاءَيُونَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّىَّ الْغَابِرَ فِى الأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِق أَوِ الْمَغْرِب، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ ، قَالُوا :يَا رَسُولَ اللَّه، تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاء لاَ يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ :بَلَى ،وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِه ،رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّه وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»(٦) .

وقال أيضاً : « ما تحابَّا الرجلان إلا كان أفضلهما أشدهما حباً لصاحبه» (٧)

و« خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره » (٨) .

وقال الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ :

إن من علامات حب العبد لله ـ عز وجلَّ ـ الزهد في الخلق غاية الزهد ، لأنه طالب للأنس بالله والقرب منه ، فهو أزهد شيء في الخلق إلا من أعانه على هذا

---

(١) أحمد والحاكم والذهبي وصححاه (٢) صحيح الجامع . (٣) صحيح الجامع
(٤) مسلم. (٥) أحمد بإسناد حسن . (٦) متفق عليه .
(٧) صحيح الأدب المفرد . (٨) صحيح الجامع .

المطلوب منهم وأوصله إليه ، فهو أحب خلق الله إليه ، ولا يأنس من الخلق بغيره ولا يسكن إلا إلى سواه ؛ فعليك أخي الكريم بطلب هذا الرفيق جهدك فإن لم تظفر به فاتخذ الله صاحباً ودع الناس كلهم جانباً ﴿ **وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً** ﴿٨﴾ ﴾ [المزمل : ٨] .

والحب والإخوة في الله لماذا ؟ :

[١] لنيل أعلى الدرجات عند الله ـ تبارك وتعالى ـ ، كما بيَّنا في الأحاديث المذكورة سابقاً .

[٢] لعودة الخلافة الراشدة ولإقامة كيان الأمة الإسلامية ، فبإقامة الدولة الإسلامية في نفوسنا وبيننا بعضناً البعض يقام نموذج مصغر للدولة ، فتقوم دولة الإسلام على الأرض ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ:﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ، وقال أيضاً :﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ** ﴿٤﴾ ﴾ [الصف : ٤] .

[٣] لتمحيص عيوبنا في المرآة ، فالمؤمن مرآة أخيه و« **المؤمن أخو المؤمن ، يكف عليه ضيعته** ـ أي يجمع عليه معيشته ويضمها إليه ـ **ويحوطه من ورائه** »[١] ، وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في مجلس من المهاجرين والأنصار :أرأيتم لو ترخصت في بعض الأمور ماذا كنتم فاعلين ؟ وكرره فلم يجيبوه . . . فقال بشر بن سعد ـ رضي الله عنه ـ لو فعلت قوَّمناك تقويم القدح ـ أي السهم الذي يرمى به عند القوس ـ فقال عمر : أنتم إذن . . . أنتم إذن .

[٤] لمعالجة الفتور في عضد التزامنا ـ فلكل منا شِرة وفترة في الدين ـ وأخوة الدين تعالج الفترة هذه بالتعاون على البر والتقوى بفعل المباحات مع إخوة الدين؛**لكن ينبغي على طالب المراتب العالية عدم الإغراق في المباحات**.

---

(١) صحيح الأدب المفرد .

[٥] لرأب صدع الخلاف الذي حطَّ على الصحوة الإسلامية المباركة ، فينبغي أن نقدم وحدة العمل لإعادة الخلافة الراشدة على ـ اختلاف الرأي ـ فلا يصر كلّ منا على رأيه في الأمور الخلافية ويُصَعِدَ الخلاف ، بل يجب أن يأتلف مع أخيه ما استطاع وليكن شعارنا قول نبينا ـ ﷺ ـ: « **تَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا** » (١) ، و« **كونوا عباد الله إخواناً** » (٢) ، كما كان هذا شعارمن سبقنا من المهاجرين والأنصار ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

[٦] لشد الأزر وتثبيت بعضنا البعض على دين الله ولتخفيف وحشة الغربة ، فكما قال الله ـ تبارك وتعالى ـ :﴿ **وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ③** ﴾ [العصر]،وقوله ـ جلَّ وعلا ـ : ﴿ **سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ** ﴾ [القصص:٣٥] ، وقال رسوله ـ ﷺ ـ : « **بَدَأَ الإِسْلاَمُ غَرِيباً وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيباً ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ** » (٣) ، فكيف نرى أخانا يعانى من شدة الظلم ولا نخفف عنه ونخلفه في أهله ، وكيف نراه قد أضنته لهيب الهاجرة ولا نعوده ... كيف ونحن رفاق الدرب، كيف والمآل واحد ولا نتعاون ... كيف ونحن جميعاً غرباء...!

[٧] لإحياء السُنن الموات والتي لن تحيا إلا بأُخوة الدين (٤) .

ورضي الله عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كان يقول : جالسوا التوابين فإنهم أرق أفئدة ، فمن رقة الأفئدة تبدأ المودة ... بل وتدوم ....

وكان من نصائحهم أن تؤاخى من خالفك على الهوى ، وأعانك على الرأي ، ومن وافق سره علانيته ، لأن خير الثناء ما كان على أفواه الأخيار .

---

(١) متفق عليه .
(٢) صحيح الجامع.
(٣) مسلم.
(٤) الاخوة أيها الإخوة ـ بتصرف.

حقـــوق الإخـــوة :

[١] مساندة الإخوان في السراء والضراء .

[٢] أن تكره مضرته وأن تبادر إلى دفعها ، فإن مسه ما يتأذى به شاركته الألم وأحسست معه بالحزن .

[٣] أن تحب لأخيك النفع وأن تفرح لوصوله إليه كما تبتهج بالنفع يصل إليك أنت .

[٤] التناصر، فإن أخوة الدين تفرض التناصر بين المسلمين ـ لا تناصر العصبيات العمياء ـ بل تناصر المسلمين المؤمنين العاملين لإحقاق الحق وإبطال الباطل وردع المعتدى وإجارة المظلوم ، فلا يجوز ترك مسلم يكافح وحده في معترك ، بل لابد من الوقوف إلى جانبه على أي حال لإرشاده إن ضل ، وحجزه إن تطاول ، والدفاع عنه إن هوجم ، والقتال معه إذا استبيح (١) .

[٥] تسهيل الأمور الصعبة ، وهذا واجب عظيم يزداد تأكيداً إذا كنت ذا جاه في المجتمع أو صاحب منصب تحفه الرغبة والرهبة ، إذ إن للجاه زكاة تؤدى كما تؤدى زكاة المال :

فإذا رزقك الله سيادة في الأرض وتمكيناً بين الناس ؛ فليس ذلك لتنتفخ بعد انكماش أو تزدهي بعد تواضع ؛ وإنما يسَّر الله لك ذلك ليربط بعنقك حاجات لا تقضى إلا على طريقك ، فإذا أنت سهلتها قمت بالحق المفروض وأحرزت الثواب الموعود ؛ وإلا فقد جحدت النعمة (٢) .

كيفية معالجة الأخطاء بين الأخوة :

[١] **التغاضي والتغافل** (٣) .

[٢] **إحسان الظن بالإخوة:** قال الله ـ عز وجلَّ ـ : ﴿ **لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (١٢)** ﴾ [النور : ١٢] .

---

(١) خُلُق المسلم.

(٢) الأخوة أيها الإخوة.

(٣) تم ذكره سابقًا في حُسن الخُلق .

[٣] عدم التفتيش عن أخطاء الأخوة ابتداءً : قال رسول الله ﷺ - : **« إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم »** [١] ، و« صعد رسول الله - ﷺ - المنبر فنادى بصوت رفيع **فقال : يا معشر من قد أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه ، لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله »** [٢] .

[٤] اجتناب اللوم ما استطاع الأخ إلي ذلك سبيلاً : « قال أَنَسٌ بن مالك - رضي الله عنه - : **خَدَمْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - عَشْرَ سِنِينَ ، فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ ، وَلاَ لِمَ صَنَعْتَ وَلاَ أَلاَّ صَنَعْتَ »** [٣] ، وفي رواية عند مسلم « **فَخَدَمْتُهُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ ، وَاللَّهِ مَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَ هَذَا هَكَذَا ،وَلاَ لِشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْهُ لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذَا** » و« قال أنس رضي الله عنه : كان النبي - ﷺ - إذا حدثه بعض أهله في شيء من ذلك يقول : **دعوه ... فلو قدر كان - أو قال : لو قضى أن يكون كان »** [٤] ، وقال معاذ بن جبل - رضي الله عنه - إذا كان لك أخ في الله فلا تماره ... وهذا يأتي - إخواني الكرام - بالانشغال بمعالي الأمور وترك سفاسفها لا بكثرة التلاؤم والتعاتب ، فإنَّ هذا مضيعة للوئام بين الأنام .

[٥] عند النقد نذكر جوانب الصواب مع التبسم في الوجه واختيار الألفاظ المفضلة والمنادة بأحب الأسماء إليه مع تجنب الجدال والمراء : ففي الحديث المتفق عليه ، أن رسول الله - ﷺ - قال عن عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - : « **نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ** » ،قَالَ سَالِمٌ بن عبد الله فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلاَّ قَلِيلاً ؛ ولقد أخذ صاحبه عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - نفس الطريق لَمَّا قال له زياد كيف يضيع العلم وقد وعته القلوب وحفظته الصدور؟ قال: ثكلتك أمك يا زياد ، إني لأظنك أفقه أهل

---

(١) صحيح الجامع.
(٢) صحيح جامع الترمذي.
(٣) متفق عليه .
(٤) صحيح الجامع.

المدينة!، وقال رسول الله ـ ﷺ ـ:« **تبسمك في وجه أخيك لك صدقة** »(١)، وقال أيضاً: « ... **وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ** »(٢).

[٦] **الرفق واللين والتلطف والتدرج في إصلاح الأخطاء:** قال رسول الله ﷺ : « **إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ** » (٣)، وكما في قصة الصحابي « مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ : بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ـ ﷺ ـ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ :يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ ، فَقُلْتُ : وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ ، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي **مَا رَأَيْتُ مُعَلِّماً قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيماً مِنْهُ** ، فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَلاَ ضَرَبَنِي وَلاَ شَتَمَنِي ، قَالَ : **إِنَّ هَذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ** » (٤) ، (٥) .

أخي الحبيب :

إن رزقك الله مودة أخ فحافظ عليه وتمسك به ، فإن صد عنك أقبل عليه ، وإن بعد عنك أُدن منه ، وإن حرمك ابذل له حتى يكون ركناً من أركانك ، فإن من أعظم العيب التلون في الوداد .

فما أروع ما كان بين أخوين قد تغير ودهما فقال الأول : مالي أراك كالمعرض عني؟ قال : بلغني عنك شيء كرهته ، فقال الأول : إذاً لا أبالي ، قال : ولم ؟ فقال : لأنه إن كان ذنباً غفرته وإن كان باطلاً لم تقبله ... ثم عاد الاثنان إلى المؤانسة وسحرها ، والأخوة وجمالها ...

ويالله حين يقول أخ لأخيه : مثلي هفا ومثلك عفا ، فيجيبه أخوه : مثلك اعتذر ومثلي اغتفر... وينتهي ما لم يبدأ ... لتدوم مودتهما ...

---

(١) صحيح الجامع (٢) متفق عليه. (٣) مسلم .
(٤) مسلم . (٥) الأخوة أيها الإخوة .

ومحبتهما في الله رب العالمين . . .

قال المحب :

وإذا الحبيب أتى بذَنْبٍ واحدٍ جاءت محاسنُه بألف شفيعِ

وأقل الحب - أخي الكريم - سلامة الصدر ، وأعلاه الإيثار [١] .

(١) الأخوة في الله .

الخـــوف والخشيـــة من الله

الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في المستقبل ، والخشية هي خوف مقرون بالتعظيم والإجلال ـ ولا تكون الخشية إلا من الله رب العالمين ؛ والخوف والخشية تارة يكونان إما بسبب كثرة ذنوب العبد وتفريطه في حق مولاه وسيده رب العالمين وإما بسبب معرفة العبد عِظم جلال الله وملكه وجبروته وصفاته وهيبته وأنه لو أهلك العالمين لم يبال ، لأنه ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿ **لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** (٢٣) ﴾ [الأنبياء : ٢٣] ولا يستطيع أن يمنعه مانع ، لأنه ـ جلَّ وعلا ـ ﴿ **فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ** (١٦) ﴾ [البروج :١٦] ، وإما بسببهما جميعاً ، وعلى قدر علم العبد بنفسه وبمدى ضعفها ،وعلى قدر علمه ومعرفته بجلال ربه ـ جلَّ وعلا ـ وعظمته واستغنائه عن جميع خلقه يكون خوفه وخشيته منه ـ تبارك وتعالى ـ ، والخشية لذلك أخصُّ وأعلى من الخوف ولذا خُصَّ بها العلماء بربهم دون غيرهم ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ ... **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ... ﴾ [فاطر : ٢٨] ، وإن الله ـ تبارك وتعالى ـ يحب أن نخشاه كأننا نراه ،كما في حديث جبريل عليه السلام « ... قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّه مَا الإِحْسَانُ ؟ قَالَ : **أَنْ تَخْشَى اللَّه كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنَّكَ إِنْ لاَ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ** » (١) .

لذلك أخوف الناس وأشدهم خشية لله أعرفهم بنفسه وبربه ، وكما تعلم ـ أخي الكريم ـ أن أعلم العلماء بالله رب العالمين وأشدهم له خشية سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ سيد الأولين والآخرين، الذي قال: « .. **فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية** »(٢) وعند البخاري « ... **إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا** »وقال الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ المعرفةُ فعلُ القلب؛ لِقولِ اللهِ ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ **وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ** ﴾[البقرة: ٢٢٥]،

(١) مسلم .

(٢) متفق عليه .

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ أيضاً : « **يا أمةَ محمد ، واللهِ لو تعلمونَ ما أعلمُ ، لبكيتم كثيراً ولَضحكتم قليلاً** »[١] وفصَّل في رواية أخرى فقال : « **إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون ، أطَّت السماء وحق لها أن تئطّ ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله ، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً ، وما تلذذتم بالنساء على الفرش ، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله ...** »[٢] .

ذلك أنه كلما كان العبد أقرب إلى ربه كان أشد خشية له ممن دونه ، وقد وصف الله ـ تعالى ـ الملائكة بقوله : ﴿ **يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [النحل : ٥٠] ، وإنما كان خوف المقربين أشد لأنهم يُطالبون بما لا يطالب به غيرهم فيراعون تلك المنزلة ، ولأن الواجب لله منهم الشكر على تلك المنزلة . . . فتتضاعف الخشية بالنسبة لعلو تلك المنزلة . . . فالعبد إن كان مستقيماً يخاف من سوء العاقبة؛ لقول الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** ﴾ [الأنفال : ٢٤] أو يخاف من نقصان الدرجة ؛ وإن كان مائلاً غير مستقيمٍ فخوفه من سوء فعله، وينفعه ذلك مع الندم والإقلاع[٣] .

وقد أمرنا الله ـ تبارك وتعالى ـ بالخوف منه وخشيته وحده ـ جلَّ وعلا ـ في أكثر من آية في كتابه الكريم،فقال : ﴿ ... **فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ** ... ﴾ [المائدة : ٤٤] ، وقال أيضاً : ﴿ **إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** (١٧٥) ﴾ [آل عمران : ١٧٥] وأثنى على رسله ـ صلوات الله وسلامه عليه أجمعين ـ بخشيتهم إيَّاه وحده فقال :﴿ **الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا** (٣٩) ﴾ [الأحزاب : ٣٩] بل وأثنى على صحابة رسوله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ فقال :﴿ **الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ** (١٧٢) **الَّذِينَ**

---

(١) متفق عليه . (٢) صحيح جامع الترمذي . (٣) فتح الباري .

قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) ﴾ [آل عمران : ١٧٢-١٧٤]

وقد خوَّفنا الله - تبارك وتعالى - أيضاً من عذابه ، فقال حاكياً حال أهل النار : ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ (١٦) ﴾ [الزمر : ١٦] وقال أيضاً : ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (١٠٤) ﴾ [المؤمنون : ١٠٤] وقال - جلَّ في علاه - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ... ﴾ [النساء : ٥٦] وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : « **لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم ، فكيف بمن تكون طعامه !** »(١) و« عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : **تَدْرُونَ مَا هَذَا ؟** قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : **هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفاً ، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا** »(٢) وقال أيضاً : « **نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ ، جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ** ، قَالُوا : وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : **فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءاً ، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا** »(٣) .

وقال رَسُول اللَّه - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - أيضاً : « **إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً مَنْ لَهُ نَعْلاَنِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ ، كَمَا يَغْلِي الْمِرْجَلُ** - القدر - ، **مَا يَرَى أَنَّ أَحَداً أَشَدُّ مِنْهُ عَذَاباً ، وَإِنَّهُ لأَهْوَنُهُم عَذَاباً** »(٤) ، وقال : أيضاً : « **اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ : يَا رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضاً فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ ، نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ ، فَهُوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ**

---

(١) صحيح الجامع . (٢) مسلم . (٣) ، (٤) متفق عليه .

الحرّ ، وأشدُّ ما تجدون من الزَّمهرير »[١] .

جزاء الخوف والخشية من الله ـ عز وجل ـ :

وخوف العبد وخشيته من الله وحده سبب في الخلافة والتمكين في الأرض قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ [إبراهيم : ١٣-١٤] ، وفي الآخرة مغفرة من الله وأجر كبير ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الملك : ١٢] وهذا الأجر الكبير هو التظلل بظل من الله تبارك وتعالى ـ يوم القيامة قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : « سبعةٌ يُظلُّهم اللهُ في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّهُ : ... ورَجُلٌ ذكرَ اللهَ خالياً ففاضتْ عيناه »[١] ، والأمن يوم الفزع الأكبر « قال الله تعالى : وعزتي وجلالي لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين ، إن هو أمَّنني في الدنيا أخفته يوم أجمع عبادي ، وإن هو خافني في الدنيا أمَّنته يوم أجمع عبادي »[٢] .

وفوق كل ذلك النجاة من النار فـ « عينان لا تمسهما النار أبداً ، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله »[٣] وقال أيضاً : « لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري مسلم أبداً »[٤] والفوز بالجنة ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات : ٤٠-٤١] ، بل وبجنتين فيها ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرحمن : ٤٦] ، وهذه ميزة وفضل لم تحصل لغيرهما من العبادات ، قال الحسن ـ رحمه الله : إنهما للسابقين ، وربما هاتان الجنتان هما المقصودتان بقول رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : « جنتان من

---

(١) متفق عليه . (٢) ، (٣) ، (٤) صحيح الجامع .

فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن »(١) وفوق كل ذلك رضوان الله تبارك وتعالى ـ الذي هو أعظم من الجنة وما فيها، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ ... **رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ** ﴿٨﴾ ﴾[البينة :٨] .

واعلم ـ أخي الحبيب ـ أن خوف العبد وخشيته من ربه هما عبادتان قلبيتان ، لكن لهما علامات تدل عليهما وتعرفان بهما ، فإن الخوف والخشية اللتين في قلب العبد تفيضان ـ ولابد ـ على سائر البدن والجوارح بل وعلى صفات العبد وأخلاقه . . . أما في البدن فبالنحول والصفار والبكاء وقشعريرة الجلد والخشوع . . . وأما في الجوارح فبكفها عن المعاصي وفعلها الطاعات ، واجتناب فضول الكلام والنظر والنوم والأكل والشرب واللباس والمخالطة . . . تلافياً لما فرط واستعداداً للمستقبل . . . وأما في الصفات فبأن يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة ، فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر والحقد والحسد ، بل يصير مستوعباً الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته ، فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالأنفاس واللحظات ومؤاخذة النفس بالخطرات والخطوات والكلمات، وقوة المراقبة والمحاسبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف والخشية ، وقوة الخوف والخشية بحسب قوة المعرفة بجلال الله وصفاته وأفعاله ، وبعيوب النفس وما بين يديها من الأخطار والأهوال .

أنواع الخوف والخشية من الله :

الخوف من الله ـ تعالى ـ على مقامين ، أحدهما : الخوف من عذابه ، والثاني : الخوف منه ـ سبحانه وتعالى ـ ومن مقامه العالي الرفيع ومن القيام بين يديه ، وخوف الحجاب عنه ورجاء القرب منه ـ جلَّ وعلا ـ ؛ **أما** الخوف من عذابه فهو

---

(١) صحيح الجامع .

خوف عموم المؤمنين ، وهو حاصل بأصل الإيمان بالجنة والنار وكونهما جزاءين على الطاعة والمعصية ، وضعف هذا الخوف بسبب ضعف الإيمان والغفلة ، وإنما تزول الغفلة بالتذكير والوعظ ومداومة الفكر في أهوال يوم القيامة وأصناف العذاب في الآخرة ، وتزول أيضًا بالنظر إلى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة أحوالهم ... وأما خوف العلماء وأرباب القلوب العارفين بالله ـ عز وجلَّ ـ وبصفاته العلا فهم مع خوفهم من الله ـ تبارك وتعالى ـ يخافون سطوته وعذابه ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ... وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ... ﴾ [آل عمران : ٢٨] ، وقال ـ جلَّ في علاه ـ: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾ [الزمر :١٦] .

ومقامات الخائفين تختلف ، فمنهم من يغلب على قلبه خوف الموت قبل التوبة ، أو خوف نقض التوبة ونكث العهد ، أو خوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله ـ تعالى ـ ، أو خوف زوال رقة القلب وتبدلها بالقسوة ، أو خوف الميل عن الاستقامة ، أو خوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات المألوفة ، أو خوف أن يكله الله ـ تعالى ـ إلى حسناته التي اتكل عليها وتعزز بها ، أو خوف البطر بكثرة نعم الله عليه ، أو خوف الاشتغال عن الله بغيره، أو خوف الاستدراج بتواتر النعم ، أو خوف انكشاف غوائل طاعاته حيث يبدو له من الله ما لم يكن يحتسب ، أو خوف تبعات الناس عنده في الغيبة أو الخيانة أو الغش أو إضمار السوء ، أو خوف ما لا يدرى أنه يحدث في بقية عمره ، أو خوف تعجيل العقوبة في الدنيا والافتضاح قبل الموت ، أو خوف الاغترار بزخارف الدنيا ، أو خوف اطلاع الله على سريرته في حال غفلته عنه .

أو خوف سؤال منكر ونكير ، أو خوف عذاب القبر ، أو هول المطلع ، أو هيبة الموقف بين يدي الله ـ تعالى ـ والحياء من كشف الستر والسؤال عن النقير والقطمير، أو الخوف من الصراط وحدّته وكيفية العبور عليه ، أو الخوف من النار

وأغلالها وأهوالها ، أو الخوف من الحرمان من الجنة دار النعيم والملك المقيم ، أو خوف نقصان الدرجات ، أو الخوف من الحجاب عن الله تعالى ، وكل هذه الأسباب مكروهة في نفسها فهي لا محالة مخوفة تختلف أحوال الخائفين فيها .

أو الخوف والإشفاق على العمل أن يصير إلى الضياع ، فيخاف على عمله أن يكون من الأعمال التي قال الله ـ تعالى ـ فيها : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان :٢٣] .

وهي الأعمال التي كانت لغير الله ـ تبارك وتعالى ـ وعلى غير أمره وسُنَّة رسوله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ ويخاف أيضاً أن يضيع عمله في المستقبل إما بتركه وإما بمعاصي تفرقه وتحبطه فيذهب ضائعاً .

أو خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء أو خوف السابقة التي سبقت له في الأزل . . . وكل من عرف الله وعرف صفاته علم من صفاته ما هو جدير بأن يخاف منه من غير خوف الجناية ، بل العاصي لو عرف الله حق المعرفة لخاف الله ولم يخف معصيته ، ولولا أنه مخوف في نفسه لما سخره للمعصية ويسر له سبيلها ومهد له أسبابها ، فإن تيسير أسباب المعصية إبعاد من الله ، فالعاصي قد قُضي عليه بالمعصية شاء أم أبى ، وكذا المطيع فإن من أطاع الله أطاعه بأن سُلط عليه إرادة الطاعة وآتاه الأسباب والقدرة التامة ، فكان الفعل بعد الإرادة والقدرة على الفعل ضرورياً ، والذي عصى عصى لأنه سُلط عليه إرادة قوية جازمة وآتاه الأسباب والقدرة ، فكان الفعل بعد الإرادة والقدرة ضرورياً .

فهذه كلها مخاوف ، وثمرتها سلوك سبيل الحذر عما يفضي إلى المخوف ، فمن يخاف استيلاء العادة عليه فيواظب على الفطام عن العادة ، والذي يخاف من اطلاع الله ـ تعالى ـ على سريرته عليه الاشتغال بتطهير قلبه عن الوساوس . . . وهكذا بقية المخوف [١] .

---

(١) إحياء علوم الدين ، مدارج السالكين ـ بتصرف .

واعلم ـ أخي الكريم ـ أن أعلى مخاوف الدنيا وأعظمها خوف الخاتمة ؛ فإن الأمر فيها خطر ، ولذلك كان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ يدعو ربه فيقول: « ... **وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت ، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبراً ، وأعوذ بك أن أموت لديغا** »(١) ومن خوف وأكثره دلالة على كمال معرفة العبد خوف السابقة ، لأن الخاتمة تتبع السابقة وفرع يتفرع عنها بعد تخلل أسباب كثيرة ، فالخاتمة تُظهر ما سبق به القضاء في أم الكتاب ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢) لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣)** ﴾ [الأنبياء: ١٠١-١٠٣]، وأعلى مخاوف الآخرة رتبة وأعظمها هو خوف الحجاب عن الله تعالى ـ وإعراضه ـ تبارك وتعالى ـ عن عبده ، وهو خوف العارفين العالمين بالله وبجميل صفاته ـ ومعلوم أن لا سعادة لعبد إلا في لقاء مولاه والقرب منه ـ وكل ما أعان عليه فله فضيلة وفضيلته بقدر غايته ، وقد ظهر أنه لا وصول إلى سعادة القرب من الله في الآخرة إلا بتحصيل محبته والأنس به في الدنيا ، ولا تحصل المحبة إلا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة إلا بدوام طلب العلم النافع والتفكر ، ولا يحصل الأنس إلا بالمحبة ودوام الذكر ، ولا تتيسر المواظبة على الذكر والفكر إلا بانقطاع حب الدنيا من القلب، ولا ينقطع ذلك إلا بترك لذات الدنيا وشهواتها ، ولا يمكن ترك المشتهيات إلا بقمع الشهوات ، ولا تنقمع الشهوة بشيء كما تقمع بنار الخوف ـ فالخوف هو النار المحرقة للشهوات ـ فإن فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوات وبقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات ، ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف ؛ وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة و... وهي الأعمال الفاضلة

(١) صحيح الجامع .

المحمودة التي تقرب العبد إلى الله زلفىٰ .

ويليه في المرتبة خوف حبوط الأعمال وعدم قبولها من الله ـ تبارك وتعالى ـ فقد « سألتْ أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ عن هذه الآية ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٦٠] قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ : أهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق، قال : **لا يا بنت الصديق ، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم ، أولئك الذين يسارعون في الخيرات** »[١] ، قال الحسن ـ رحمه الله ـ : عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا أن ترد عليهم ، إن المؤمن جمع إحساناً وخشية والمنافق جمع إساءة وأمناً ؛ وربما السر في خوف المؤمنين أن لا تقبل منهم عبادتهم أن القبول متعلق بالقيام بالعبادة كما أمر الله ـ عز وجلّ ـ وهم لا يستطيعون الجزم بأنهم قاموا بها على مراد الله .

وكيف لا يخاف المؤمن تغير الحال وسوء الخاتمة و« **إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد ، يصرفه حيث شاء** »[٢] ، وفي رواية « ... **إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه ، والميزان بيد الرحمن يرفع أقواماً ويخفض آخرين إلى يوم القيامة** »[٣] و « **لقلب ابن آدم أسرع تقلباً من القدر إذااستجمعت غلياناً** »[٤] ولذلك كان أكثر دعاء أعظم الناس خوفاً وخشية من الله رب العالمين وأعرفهم به ـ سيدنا محمد ـ سيد الأولين والآخرين ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم « **يا مقلب القلوب ثبّت قلبي على دينك ...** »[٥] وفي دعاء آخر « ... **يا مثبت القلوب ثبت قلوبنا على دينك ...** »[٦] وكيف لا يخاف المؤمن من ربه ومن عذابه وهو القائل :﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ [المعارج: ٢٨] ، وهؤلاء الراسخون في العلم دعاؤهم هو ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ

---

(١) صحيح جامع الترمذي . (٢) ، (٣) صحيح الجامع . (٤) صحيح ظلال الجنة .
(٥) صحيح الجامع . (٦) صحيح سنن ابن ماجة .

﴿ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران : ٨] ، فأجهل الناس من أمنه وهو ينادي بالتحذير من الأمن .

واعلم ـ أخي الكريم ـ أن الخوف ليس مقصوداً لذاته بل هو مقصود لغيره قصد الوسائل للغايات ، ولهذا يزول بزوال المخوف ، فإن أهل الجنة ﴿ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ والخوف المحمود الصادق هو ما حال بين صاحبه وبين محارم الله ـ عز وجلَّ ـ وحمله على أداء الفرائض واجتناب المحارم ، فإن زاد على ذلك بحيث صار باعثاً للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات والبعد عن دقائق المكروهات والتبسط في فضول المباحات كان ذلك فضلاً محموداً ـ وعُد ورعاً ـ فإن زاد على ذلك بأن أورث مرضاً أوهماً لازماً أو ... مما يمنع صاحبه من السعي في التقرب إلى الله ـ عز وجلَّ ـ لم يكن محموداً ، وخيف منه اليأس والقنوط .

والخوف على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : الخوف من العقوبة وهو يتولد من تصديق العبد بوعيد الله ـ جلَّ وعلا ـ ومن ذكر جنايته وذنوبه ومن مراقبة العاقبة .

الدرجة الثانية : الخوف من مكر الله ـ عز وجلَّ ـ القائل في كتابه الكريم : ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأعراف : ٩٩] .

الدرجة الثالثة : خشية الله وهيبته وخشية جلاله وسلطانه ومقامه العليّ الرفيع ، وهذه الخشية متعلقة بذاته وصفاته ، وكلما كان العبد أعرف بربه وإليه أقرب كانت هيبته وإجلاله في قلبه أعظم .

وإليك ـ أخي الحبيب ـ صوراً من خوف الصالحين وأولهم رسول الله وخاتم الأنبياء والمرسلين ، فعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ـ رضي الله عنها ـ **قَالَتْ : ما رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ مُسْتَجْمِعاً ضَاحِكاً حَتَّى ـ أَرَى ـ مِنْهُ لَهَوَاتِهِ ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ ، قَالَتْ : وَكَانَ إِذَا رَأَى ـ غَيْماً أَوْ رِيحاً عُرِفَ ذَلِكَ**

فِي وَجْهِه ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّه أَرَى النَّاس إِذَا رَأَوْا الْغَيْمَ فَرِحُوا رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عَرَفْتُ فِي وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَة ؟ فَقَالَ : يَا عَائِشَةُ مَا يُؤَمِّنُنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ ، قَدْ عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ ، وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ فَقَالُوا : ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾ »(١) ، وعند مسلم « أَنَّهَا قَالَتْ : كَانَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - إِذَا عَصَفَت الرِّيحُ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ ، قَالَتْ : وَإِذَا تَخَيَّلَتِ السَّمَاءُ ، تَغَيَّرَ لَوْنُهُ ، وَخَرَجَ وَدَخَلَ ، وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ ، فَإِذَا مَطَرَتْ سُرِّيَ عَنْهُ ، فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَسَأَلْتُهُ ، فَقَالَ : لَعَلَّهُ يَا عَائِشَةُ كَمَا قَالَ قَوْمُ عَادٍ : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا ﴾ [الأحقاف:٢٤] .

ولما سأله أصحابه الكرام - رضى الله عنهم أجمعين - فقالوا يا رسول الله ، لقد أسرع إليك الشيب ، فقال : « **شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت** »(٢) ، فما شيبته - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - الدنيا بما فيها ومن فيها وما ألم به من ابتلاءات ، حتى يوم أن تجمعت عليه قوى الكفر والشر جميعاً من مشركى العرب واليهود وغيرهم يوم الأحزاب والخندق فما شيبه هذا بل شيبه - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - ما فعله الله - عز وجلَّ - بمكذبي الأمم السابقة وخوفه من إبعاد الله - تبارك وتعالى - ، واليوم الآخر وما فيه من أهوال ، ومقامه بين يدي ربه - جلَّ وعلا - .

ولقد كان النبي - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - يُصلي « **... ولجوفه أزيز كأزيز المرجل - كغليان القدر - يعني يبكي** »(٣) و« عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ - رضي الله عنها - قَالَتْ: **فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ** - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم -

(١) متفق عليه . (٢) صحيح الجامع . (٣) صحيح سُنن النسائي .

لَيْلَةً من الْفِرَاشِ، فَالْتَمسْتُهُ فوقعتْ يدي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْه وَهُوَ فِي المَسْجِد، وَهُمَا مَنْصُوبَتَان، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ » (١).

وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قلما كان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه « **اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصيبات الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا** » (٢).

وقد « **خسفت الشمس على عهد النبي** ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ **فقام فزعاً، يخشى أن تكون الساعة، فقام حتى أتى المسجد، فقام يصلي بأطول قيام وركوع وسجود، ما رأيته يفعله في صلاته قطّ، ثم قال: إن هذه الآيات التي يرسل الله لا تكون لموت أحد ولا لحياته ولكن الله يرسلها يخوف بها عباده، فإذا رأيتم منها شيئاً فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره** » (٣).

وهذا مثال على خوف الصحابة الكرام ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ الذين ربَّاهم رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ بنفسه « فعن أم المؤمنين عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان لأبي بكرٍ غلامٌ يخرجُ له الخَراجَ، وكان أبو بكرٍ يأكلُ من خَراجهِ، فجاء يوماً بشيءٍ فأكلَ منه أبو بكرٍ، فقال له الغلامُ: أتدري ما هذا؟ فقال أبو بكرٍ: وما هو؟ قال: كنتُ تكهَّنْتُ لإنسانٍ في الجاهلية، وما أُحسِنُ الكهانة، إلاّ أني خَدَعتُه فاعطاني بذلك، فهذا الذي أكلتَ منه، فادخَلَ

(١) مسلم.
(٢) صحيح جامع الترمذي.
(٣) صحيح سُنن النسائي.

أبو بكرٍ يدَهُ فقاءَ كلَّ شيءٍ في بطنه » (١) .

و« لما طُعِنَ أمير المؤمنين عمرُ بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ جعلَ يألمُ ، فقال له ابن عبَّاسٍ وكأنهُ يُجزِّعهُ : يا أميرَ المؤمنين ، ولئن كان ذاك ، لقد صحبتَ رسولَ اللَّه ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ فأحسنتَ صُحْبَتَه ، ثمَّ فارقتَهُ وهو عنكَ راض ، ثمَّ صحبتَ أبا بكر فأحسنتَ صحبتَه ، ثمَّ فارقتَه وهو عنك راض ، ثمَّ صحبت صَحَبَتَهم فأحسنتَ صُحبتَهم ، ولئن فارقتَهم لتُفارِقَنَّهم وهم عنك راضون ، قال : أمّا ما ذكرتَ من صحبةِ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ ورضاه فإنما ذاك منٌّ منَ الله ـ تعالَى ـ منَّ به علي ، وأمّا ما ذكرتَ من صحبةِ أبي بكر ورضاه فإنما ذاك منٌّ منَ الله ـ جلَّ ذكرُه ـ منَّ به عليّ ، وأمّا ما ترَى من جزَعي فهوَ من أجْلك وأجْلِ أصحابك ، واللَّه لو أنَّ لي طِلاعَ الأرض ذَهَباً لافتدَيتُ به من عذابِ اللَّهِ ـ عزَّ وجلّ ـ قبلَ أن أراه » (٢) .

وكان عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ إذا وقف على قبر يبكي حتى يبل لحيته، فقيل له : تذكر الجنة والنار ولا تبكي وتبكي من هذا ، قال: إن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « **إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه** »، قال : وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ : « **ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه** » (٣) .

و« قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيُّ الْبَدْرِيُّ ـ رضي الله عنه ـ : كُنْتُ أَضْرِبُ غُلاَماً لِي بِالسَّوْطِ ، فَسَمِعْتُ صَوْتاً مِنْ خَلْفِي ، **اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ** ، فَلَمْ أَفْهَمِ الصَّوْتَ مِنَ الْغَضَبِ ، قَالَ : فَلَمَّا دَنَا مِنِّي، إِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّه ـ ﷺ ـ **فَإِذَا هُوَ يَقُولُ : اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ ، اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ ، قَالَ: فَأَلقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِي ، فَقَالَ : اعْلَمْ ، أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَـذَا الْغُلاَمِ ، قَالَ فَقُلْتُ : لاَ أَضْرِبُ مَمْلُوكاً بَعْدَهُ أَبَداً»** .وفي رواية ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللَّهِ ، فَقَالَ:

(١) ، (٢) البخاري . (٣) صحيح سُنن ابن ماجة .

أما لو لم تفعل للفحتك النار ، أو لمستك النار»(١) .

وقال ابن أبي مُلَيْكَة - رحمه الله - : أدركت ثلاثين من أصحاب النبيَّ - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - كلُّهم يخاف النِّفاق على نفسه ، ما منهم أحدٌ يقول إنَّهُ على إيمانِ جبريل وميكائيل ...(٢) .

وهذا جبريل - عليه السلام - أمين وحي السماء ، الذي قال عنه وعن مكانته عند ربه وعن قوته وعظم خلقه ربُّهُ وخالقه - جلَّ وعلا - : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [التكوير : ١٩-٢٠] ، وقال أيضاً : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ [النجم : ٥ - ٦] ووصف رسول الله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - عِظم خَلقه فاخبر أنه « ... رأى جبريل في صورته ، له ستمائة جناحٍ »متفق عليه وفي رواية « ...فسدَّ أفق السَّماء »(٣) .

قال عنه رسول الله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - يصف خوفه وخشيته من ربه - جلَّ وعلا - : « مررت ليلة أسري بي بالملأ الأعلى وجبريل كالحلس البالي - أي الحصير القديم - من خشيـة الله تعالى »(٤) . و « قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - لجبريل - عليه السلام - : ما لي لم أر ميكائيل ضاحكاً قطّ ، قال : ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار »(٥) ، وقد قال الله - تبارك وتعالى - عن عموم الملائكة : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل : ٥٠] ، وقال أيضاً : ﴿ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٨] .

بل وهذه الحجارة والجبال التي نقول عنها أنها جماد لا شعور لها ، يقول الله - تبارك وتعالى - عنها : ﴿ ... وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ... ﴾ [البقرة : ٧٤] ، وقال أيضاً : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ

---

(١) مسلم . (٢) البخاري . (٣) متفق عليه
(٤) صحيح الجامع (٥) السلسلة الصحيحة .

الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحشر : ٢١] .

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ يصف خوف عموم المؤمنين : « **إنَّ المؤمنَ يرَى ذنوبهُ كأنه قاعدٌ تحتَ جَبل يَخاف أن يَقعَ عليه ، وإن الفاجرَ يَرى ذنوبهُ كذُبابٍ مرَّ على أنفهِ فقالَ به هكذا** ـ قال أبو شهاب بيدهِ فوق أنفهِ ... » [١] .

وكيف لا يخاف العبد الصالح ربه ـ جلَّ وعلا ـ وهو لا يدرى أمن أهل الجنة هو أم من أهل النار، وقد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : « ... **إنَّ اللّهَ خَلقَ للْجَنَّة أهْلاً ، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلاَب آبَائِهِمْ ، وَخَلقَ لِلنَّارِ أَهْلاً ، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلاَبِ آبَائِهِمْ** »[٢] وقال أيضاً : « **لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خير من أعمالهم ، ولو أنفقت مثل أحد ذهباً في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولو مت على غير هذا لدخلت النار** »[٣] .

وقال أيضاً : « **إن الله قبض قبضة فقال : هذه إلى الجنة برحمتي ، وقبض قبضة فقال : هذه إلى النار ولا أبالي** »[٤] ، وفى رواية « ... فقال قائل : يا رسول الله فعلى ماذا نعمل، **قال : على مواقع القدر** »[٥] وحتى لا يتكل المرء ويلقى بتبعاته على القدر قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ : « ... **ما منكمْ مِن أحَدٍ إلا وقد كُتب مَقعدُه من النَّار ومقعدُهُ من الجَنة** ،قالوا : يا رسولَ اللّه أفَلا نتكلُ على كتابنا ونَدعُ العَمَل ؟ ، **قال : اعملوا فكلٌ مُيسَّر لمَا خُلقَ له ، أما من كان من أهل السعادة فييسَّر لعمل أهل السعادة ، وأما من كان من أهلِ الشقاءِ فييسَّر لِعملِ أهل الشقاوةِ ، ثم قرأ ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ**

(١) البخاري . (٢) مسلم . (٣) ، (٤) صحيح الجامع .
(٥) السلسلة الصحيحة .

﴿ ٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ٧ ﴾ [الليل: ٥-٧] (١).

وقد « جاء حبر من اليهود إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ فقال أبَلَغَكَ أن الله تعالى يضع السموات يوم القيامة على أصبع ، والأرض على أصبع ، والجبال على أصبع ، والشجر على أصبع، والماء والثرى على أصبع، وسائر الخلق على أصبع ، ثم يهزهن ويقول : أنا الملك، فضحك رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر ، فأنزل الله تعالى ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٦٧ ﴾ [الزمر: ٦٧] (٢).

وفى ختام الكلام عن الخوف والخشية من الله ـ تبارك وتعالى ـ اعلموا ـ إخواني الكرام ـ أن « **من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة** » (٣) ، وأبشروا بعظيم فضل الله وواسع عفوه ورحمته فقد « خرج النبي ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ على رهط من أصحابه يضحكون ويتحدثون، فقال : **والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، ثم انصرف وأبكى القوم، وأوحى الله ـ عز وجلَّ ـ إليه : يامحمد لم تقنط عبادي؟** ، فرجع النبي ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ فقال :**أبشروا وددوا وقاربوا** » (٤).فعلينا أن لا نفتر عن دعاء الله ـ تبارك وتعالى ـ ليل نهار أن يعتق رقابنا من النار ويهبنا من فضله الدرجات العلا من الجنة فقد قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : « **إن لله ـ تعالى ـ عتقاء في كل يوم وليلة ، لكل عبد منهم دعوة مستجابة** » (٥) وقال أيضاً : « **لو تعلمون قدر رحمة الله لاتكلتم عليها** » (٦) .

---

(١) متفق عليه .
(٢) صحيح في ظلال الجنة .
(٣) صحيح الجامع .
(٤) صحيح الأدب المفرد .
(٥)،(٦) صحيح الجامع .

الفـــرق بين خوف العبد من الله وخوفه من غيره :

اعلم ـ أخي الكريم ـ أن خوف العبد وخشيته من الله ـ جلّ وعلا ـ عبادة قلبية واجبة وتكميلها تكميل للتوحيد ، والنقص فيها نقص لكمال التوحيد ، وهما من العبادات العظيمة التي يجب أن يُفرد بهما الله ـ عز وجلّ ـ والخشية خصوصاً لا تجوز لغير الله ـ تبارك وتعالى ـ أما الخوف من غير الله ـ تبارك وتعالى ـ فينقسم إلى ما هو مباح ، وإلى ما هو محرم ، وإلى ما هو شرك ، فهذه ثلاثة أنواع :

النوع الأول : الخوف الطبيعي ، وهو الخوف المباح المأذون به ولا حرج فيه ، وهذا أمر طبيعي كالخوف من عدو، أو من سبع ، أو من نار، أو من مؤذ ومهلك ، أو من بطش ظالم ، ونحو ذلك . . . فهذا ليس عبادة ، ووقوعه في القلب ابتداءً لا ينافي الإيمان ، لكنه عند أهل التوحيد لا يستقر في القلب بل يذهب بالتوكل واللجوء إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ ،ولا يترتب عليه ترك واجب أو فعل محرم ، كما قال الله تبارك وتعالى حاكياً عن موسى وهارون ـ على نبينا وعليهما الصلاة والسلام :﴿ **قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ** ﴿٤٥﴾ ﴾[طه :٤٥] وقال أيضاً عن نبي الله موسى ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام : ﴿ **فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ** ... ﴾[الشعراء : ٢١] ،وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ إذا خاف قوماً قال : « **اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم** »(١) ،وقال ربنا ـ تبارك وتعالى ـ حاكياً حال نبينا محمد ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وحال صحابته الكرام في بداية الدعوة : ﴿ **وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴿٢٦﴾ ﴾[الأنفال : ٢٦] .

النوع الثاني : الخوف المحرم ، وهو أن يخاف من مخلوق في امتثال واجب ، أو البعد عن المحرم ، مما أوجبه الله أو حرمه ؛ كأن يخاف من مخلوق في أداء فرض

---

(١) صحيح الجامع .

من فرائض الله ، وفي أداء واجب من الواجبات ، فلا يصلي خوفاً من مخلوق ، ولا يحضر الجماعة خوفاً من ذم المخلوق له أو استنقاصه له ـ فهذا محرم ـ قال بعض العلماء: وهو نوع من أنواع الشرك ، لأن ترك الأمر والنهي الواجب بشرطه خوفاً من ذم الناس ، أو من ترك مدحهم له ، أو من وصمهم له بأشياء ، فيه تقديم لخوف الناس على خوف الله ـ تعالى ـ وهذا محرم ؛ لأن الوسيلة إلى المحرم محرمة .

وكذلك الخوف بلا سبب أو ما سببه ضعيف ، كمن يخاف من الظلام وغيره . . . فهذا من الجبن وهو من الأخلاق المذمومة الرذيلة التي كان النبي ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ يتعوَّذُ منهنَّ دُبُرَ الصلاة بقوله : « **اللَّهمَّ إني أعوذُ بكَ منَ الجُبنِ ، وأعوذُ بكَ أن أُرَدَّ إلى أرذلِ العُمر ، وأعوذُ بكَ من فتنةِ الدُّنيا ، وأعوذُ بكَ من عَذابِ القَبر** »[1] .

النوع الثالث : الخوف الشركي ، وهو خوف تأله ويكون في السر ، ويدعو إلى عبادة باطنة ؛ أي أن يخاف العبد في داخله من هذا المخوف منه ، وخوفه لأجل ما عند هذا المخوف منه مما يرجوه أو يخافه من أن يمسه سراً بشيء ، أو أنه يملك له في آخرته ضراً أو نفعاً أو شفاعة أو . . .

والخوف الشركي يحصل بأن يخاف المرء من أن يصيبه ذلك الإله ـ المزعوم ـ بشر ، وذلك شرك ، كخوف عباد القبور ممن بداخلها أن يصيبه بأذى . . . أو أن يغضب عليه . . . أو يُسلبه نعمة . . . وكالخوف من الجن مع التقرب إليهم . . . وغير ذلك ، وصَرف هذا الخوف لغير الله ـ جلَّ وعلا ـ شرك أكبر مخرج من الملة .

والواجب ألا يخاف العبد غير ربه ـ جلَّ وعلا ـ ، وألا يخاف الشيطان ولا أولياءه، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ **إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾** ﴾ [آل عمران : ١٧٥] وأن يُنزل أي خوف أصابه

---

(١) البخاري .

بربه ـ تبارك وتعالى ـ ليكفيه كل ما أهمه وأخافه ، وقد قال ربنا ـ جلَّ في علاه ـ: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ ... ﴾ [الزمر : ٣٦] ، وكفاية الله لعبده كل ما أهمه تكون على قدر عبودية العبد لربه ـ جلَّ وعلا ـ[١].

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ـ بتصرف .

الدعـــوة إلى الله
والعمل لعودة الخلافة الراشدة

الدعوة إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ هي مهنة الأنبياء والرسل الذين هم خيرة الله من عباده وسفراؤه إلى خلقه ، وهى مهمة خلفاء الرسل وورثتهم من العلماء العاملين والربانيين الصادقين ، فهي شرف وعبادة ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت :٣٣] ، وقال ـ جلَّ وعلا ـ :﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمـــران : ١٠٤] ، بـل جعلهـا الله ـ عز وجلَّ ـ وجه الخيرية في هذه الأمة، فقال : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وقال رسول الله ـ ﷺ ـ راشداً أمته ومشرفاً لها : « بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً »(١) ووعد الرسول ـ ﷺ ـ الداعي إلى الله بالأجر العظيم فقال : « مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ »(٢) ، وقال أيضاً : « ... فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ »(٣) ، و« مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً ... »(٤) ، و« مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا ،وَلاَ يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ ... »(٥) ، و« من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً أو يعلمه كان له كأجر حاجٍ تاماً حجته »(٦)، والدعوة سبب للنجاة من عذاب الله ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ :﴿ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ ﴾ [الجن : ٢٢-٢٣]، أي لن يدفع عنى

---

(١) البخاري. (٢) مسلم . (٣) متفق عليه.
(٤) ، (٥) مسلم . (٦) صحيح الترغيب والترهيب.

عذاب الله وليس هناك ملتجأ ألجأ إليه إلا أن أبلغكم رسالة الله [١] .

والدعوة إلى الخير ـ وأعلاها الدعوة إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ واجبة على كل مسلم بقدر استطاعته؛لأن هذه الدعوة من صفات المؤمنين،ولأن رسول الله ـ ﷺ ـ أمر كل مسلم ومسلمة بإزالة المنكر حسب استطاعته،فقال : « **مَنْ رأى منكم منكراً فليغيِّرْهُ بيده، فإنْ لمْ يستطعْ فبلسانه،فإنْ لمْ يستطعْ فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمانِ** » [٢]، فإذا حصل المقصود بفرد أو أفراد لم يطالب الآخرون بإعادة المنكر لإزالته ولا يؤاخذون لأنهم لم يزيلوه ، والشأن في المسلم المبادرة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دون انتظار إلى غيره ، فقد لا يقوم به غيره فيقع في الإثم ، والمسلم يدعو إلى الله باعتباره مسلماً مؤمناً بالله ورسوله ـ ﷺ ـ ، كما قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ **قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)** ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

ولا شك أن الدعوة إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ مشروط لها العلم فرسول الله ـ ﷺ ـ شدَّد على عدم الافتراء والكذب عليه ـ ﷺ ـ ، فقال : « ...**ومَنْ كذبَ عليَّ متعمِّداً فليتبوَّأْ مقعدَهُ منَ النَّارِ**» [٣]، ولكن العلم ليس شيئاً واحداً لا يتجزأ ولا يتبعض وإنما هو بطبيعته يتجزأ ويتبعض ، فمن علم مسألة وجهل أخرى فهو عالم بالأولى جاهل بالثانية ، ومعنى ذلك أنه يعد من جملة العلماء بالمسألة الأولى وبالتالي يتوفر فيه شرط وجوب الدعوة إلى ما علم دون ما جهل ؛ ولا خلاف بين الفقهاء أن من جهل شيئاً أو جهل حكمه أنه لا يدعو إليه ، لأن العلم بصحة ما يدعو إليه الداعي شرط لصحة الدعوة ؛ وعلى هذا فكل مسلم يدعو إلى الله بالقدر الذي يعلمه ، وعلى من يعلم المسألة وحكمها التي يدعو إليها سواء كان من عامة المسلمين أو ممن نال حظاً كبيراً من العلم أن يدعو إليها ؛ وبهذا يظهر فساد قول من قال : إن المقصود بالعلماء هم الذين نالوا حظاً كبيراً

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ـ بتصرف. (٢) مسلم . (٣) متفق عليه .

من العلم دون سواهم ـ وقد يسمونهم برجال الدين ـ لأن هذه التسمية تصدق على كل مسلم ، فهو من رجال الإسلام وليست مقصورة على فئة منهم [١] .

وعلى داعية اليوم أن يكون رحّالة سائحاً في مدينته ومدن قطره يُبلغ دعوة الإسلام ، فهكذا كانت رسل رسول الله ـ ﷺ ـ تسيح في البلاد تبلغ الناس كلمة الإسلام وتبشر به؛ ولم يكن ثمة انتظار ورودهم إلى المدينة ! .

ألا ترى ـ أخي الكريم ـ أن الأعرابي الذي سأل رسول الله ـ ﷺ ـ عن أركان الإسلام ، فلما أخبره بها وقال :لا أزيد عليهن ولا أنقص،كيف كان قد بدأ سؤاله بأن قال للنبي ـ ﷺ ـ:يا محمد أتانا رسولك فزعم أنك تزعم أن الله أرسلك[٢] ؛ أتاهم رسولُ ـ رسولِ الله ـ ﷺ ـ داعياً ـ وكذلك الناس تؤتى ـ ومن انتظر أن يأتيه الناس فليس بداعية ! .

ولو فصّلنا كلمة هذا الأعرابي لتَبين لنا كيف فارق هذا الصحابي الداعية المدينة لما أرسله النبي ـ ﷺ ـ لقوم هذا الأعرابي،وكيف فارق أهله وبيته وأولاده، وكيف اجتاز المفاوز وصحراء من بعد صحراء ، وكيف تعرض للمخاطر والحر أو البرد ليُبلغ دعوة الإسلام؛وهذا شأن الدعوة التي تريد أن تصل إلى أهدافها، لابد من تحرك ومبادأة،وغدو ورواح ، وتكلم وزعم ، فليس القعود والتمني من الطرق الموصلة، فافقه سيرة سلفك وقلدهم تصل وإلا ...فراوح مكانك فإنك لن تبرحه[٣] .

---

(١) المنطلق.

(٢) الحديث بتمامه ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ـ ﷺ ـ عَنْ شَيْءٍ، فَكَانَ يُعْجِبنا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ فَيَسْأَلَهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ . أَتَانَا رَسُولُكَ فَزَعَمَ لَنَا أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ قَالَ : « صَدَقَ » قَالَ : فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ ، قَالَ : « اللَّهُ » قَالَ : فَمَنْ خَلَقَ الأَرْضَ ، قَالَ:« اللَّهُ » قَالَ: فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ وَجَعَلَ فِيهَا مَا جَعَلَ ، قَالَ:« اللَّهُ » قَالَ : فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَخَلَقَ الأَرْضَ وَنَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ آللَّهُ أَرْسَلَكَ ، قَالَ :« نَعَمْ » قَالَ : وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِنَا وَلَيْلَتِنَا ، قَالَ :« صَدَقَ » قَالَ : فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا ، قَالَ :« نَعَمْ » قَالَ : وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا زَكَاةً فِي أَمْوَالِنَا ، قَالَ :« صَدَقَ » قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا ، قَالَ: « نَعَمْ » قَالَ : وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي سَنَتِنَا، قَالَ :« صَدَقَ » قَالَ : فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا ، قَالَ:« نَعَمْ » قَالَ : وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا حَجَّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ، قَالَ: « صَدَقَ » قَالَ: ثُمَّ وَلَّى، قَالَ:وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لاَ أَزِيدُ عَلَيْهِنَّ وَلاَ أَنْقُصُ مِنْهُنَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ : « لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ » مسلم .

(٣) المنطلق.

وإذا تأملنا في قول الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [يس : ٢٠] ، ذكر أقصى المدينة ، فإذا الرجل جاء في الأمر بالمعروف ولم يتقاعد لبُعد الطريق ، فهذا رجل سمع الدعوة فاستجاب لها بعدما رأى فيها من دلائل الحق والمنطق ما يتحدث عنه في دعوته لقومه ، وحينما استشعر قلبه حقيقة الإيمان تحركت هذه الحقيقة في ضميره فلم يطق عليها سكوتاً ، ولم يقبع في داره بعقيدته وهو يرى الضلال من حوله والجحود والفجور ، ولكنه سعى بالحق الذي استقر في ضميره وتحرك في شعوره ، سعى به إلى قومه وهم يكذبون ويجحدون ويتوعدون ويهددون ، وجاء من أقصى المدينة يسعى ليقوم بواجبه في دعوة قومه إلى الحق،وفى كفهم عن البغي، وفى مقاومة اعتدائهم الأثيم الذي يوشك أن يصبوه على المرسلين ، وظاهر الآيات ـ أيها الأحباب الكرام ـ أن الرجل لم يكن ذا جاه ولا سلطان ، ولم يكن في عزوة من قومه أو منعة من عشيرته ، ولكنها العقيدة الحية في ضميره تدفعه وتجيء به من أقصى المدينة إلى أقصاها [١] .

والدعوة إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ لها قواعد وأصول،وخصوصاً من يتصدى لها في جمع كبير من الناس ، لتحقق الثمرة المرجوة منها ؛من هداية الناس إلى الحق ، وتحبيبهم في الخير، وتنفيرهم من الباطل والشر ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، فالداعية إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ لابد أن يعرف ما الذي يدعو الناس إليه ! ولابد أن تكون هذه المعرفة يقينية عميقة لا سطحية مضطربة ، فلابد أن يستمد الداعي علمه عن الإسلام من مصادره الأصلية ومن منابعه المصفاة بعيداً عن تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي ﴾ [الأنعام : ٥٧] ، وقال ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

---

(١) في ظلال القرآن ـ بتصرف .

وقد أخبرنا رسول الله ـ ﷺ ـ وهو الصادق المصدوق بقوله : « **ليبلغن هذا الأمر** ـ يعنى دين الإسلام ـ **ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر** ـ بيت من حجر ـ **ولا وبر** ـ بيوت أهل البادية ـ **إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل ، عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر** »[1] ، وقال أيضاً : « **إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا ، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ ...** »[2] ، ومعنى بلوغه ما بلغ الليل والنهار انتشاره في الأرض كلها حيث يبلغ الليل والنهار ، ففي الحديثين إخبار صادق بأن ملك هذه الأمة سيبلغ المشرق والمغرب ، وأن الخلافة على منهاج النبوة ستعود ، وفيهما بعث الأمل في نفوس اليائسين ، وقطع الطريق على المتربصين، وتحفيز للعاملين للإسلام وتثبيت لهم، وشحذ لعزائمهم ، كما فيهما إيقاظ الغافلين ، وتحميس المتواكلين .

فهل انتشار الإسلام في الآفاق وإلى كل بيت يأتي بالمكث في البيوت أو حتى المساجد !! ، لا وألف لا ، ولا هكذا كانت سُنَّة النبي ولا صحبه الكرام الذين رباهم بنفسه ـ ﷺ ـ فـ ﴿ **لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ [النساء: ٩٥ـ٩٦]، ولا سُنَّة الله ـ عز وجلَّ ـ في خلقه القائل في محكم كتابه : ﴿ **وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾** ﴾ [الحج : ٤٠] ، والقائل أيضاً ﴿ **فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً** ﴾ [فاطر :٤٣] .

---

(١) السلسلة الصحيحة.

(٢) مسلم .

بل بشَّرنا رسول الله ـ ﷺ ـ وهو الصادق المصدوق بعودة الخلافة الراشدة مرة أخرى، فقال : « **تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ،ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً عاضاً ـ وراثياً ـ فتكون ما شاء الله أن تكون ،ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً جبرياً ـ قهرياً ـ فتكون ما شاء الله أن تكون ،ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، ثم سكت** » .

والملك العاض هو الذي يصيب الناس فيه عسف وظلم كأن له أنياباً تعض ، أما ملك الجبرية فهو القائم على الجبروت والطغيان أشبه بالحكم العسكري المستبد في عصرنا ؛ فهذا الحديث يبشر بانقشاع عهود الاستبداد والظلم والطغيان ، وعودة الخلافة الراشدة المتبعة لمنهاج النبوة في إقامة العدل والشورى ورعاية حدود الله وحقوق العباد ، فهل تعود الخلافة الراشدة ـ إخواني ـ إلا بعمل العاملين المخلصين والمجاهدين المثابرين ! .

وزيادة على ذلك نصراً مؤزراً على اليهود الصهاينة بعد أن قضى الله بتجميعهم من شتى بقاع الأرض ليكونوا في وسط بلاد المسلمين ، قال الله ـ جلَّ وعلا ـ : ﴿ **وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (١٠٤)** ﴾ [الإسراء :١٠٤] ، ليتحقق وعد الله القائل : ﴿ **فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (٧) عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (٨)** ﴾ [الإسراء :٧ – ٨] ؛ ووعد رسوله ـ ﷺ ـ القائل : « **لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِىُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ : يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِىٌّ**

خَلفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ ، إِلاَّ الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ » [١] .

بل وأكـثـر من ذلك «سُـئل رسـول الله ـ ﷺ ـ أي المدينتين تفـتـح أولاً ، القسطنطينية أو رومية ، فقال: مدينة هرقل تفتح أولاً ـ يعني قسطنطينية ـ» [٢]، والقسطنطينية هي استانبول الآن ، وروميه هي روما عاصمة إيطاليا ، وقد فتحت الأولى وبقيت الثانية ، ولن يتخلف ما بشَّر به الصادق المصدوق ، وبه يدخل الإسلام أوروبا مرة اخرى بعد أن طرد منها مرتين ، مرة من الأندلس والأخرى من البلقان ؛ ويرى أحد أعلام العلم والدعوة في هذا العصر أن هذا الفتح سيكون باللسان والقلم لا بالسيف والسنان ، وأن العالم سيفتح ذراعيه وصدره للإسلام بعد أن أشقته الفلسفات المادية الوضعية ؛ فيتطلع إلى مدد من السماء وهدى من الله ، والفتح السلمي ـ له أصل في الإسلام ـ فقد سمى الله ـ تبارك وتعالى ـ صُلح الحديبية فتحاً ، بل فتحاً مبيناً ، وأنزل في ذلك سورة ـ الفتح ـ وفيها يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ① ﴾ « وسأَلَ عُمَرُ رضي الله عنه رسول الله ـ ﷺ ـ : أَوَفَتْحٌ هُوَ يا رسول الله ؟، قَالَ : نَعَمْ » [٣] . [٤] .

مشروع الفرد الصالح ، فالبيت الصالح ، فالحي الصالح ، فالمدينة الصالحة ، فالدولة الصالحة ، فالخلافة الراشدة :

أخي الكريم : تصور أن المحيط الذي أنت مطالب بتغييره هو محيط سكنك وعملك ... ابدأ في وضع خطة لتغيير بيتك وجعله بيتاً إسلامياً كاملاً تطبق فيه أحكام الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وحذار أن تتصرف مع أهل بيتك بتصرفات هوجاء بأن تنهى عن منكر بطريقة منفرة فتكون النتيجة أن ينقلبوا عليك ويضعوا حاجزاً بينهم وبينك ... بل ينبغي عليك أن تعتمد سياسة الصبر الجميل والنفس الطويل وأن تتقرب إليهم وتدخل إلى قلوبهم بشتى الوسائل من

---

(١) مسلم.
(٢) السلسلة الصحية.
(٣) متفق عليه .
(٤) المبشرات بانتصار الإسلام

ترغيب وترهيب ، ويمكن أن تستعين بالآخرين ممن تثق فيهم ، وغالباً ما يكون تأثير الغرباء على أهل البيت أقوى من تأثير الشخص نفسه .

ثم على الدعاة أن يجعلوا بيوتهم منارات تشع نوراً وخيراً وعلماً ونفعاً للناس يقبلون عليها ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ **وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [يونس : ٨٧] .

وفى نفس وقت اهتمامك ببيتك ... فكر في كيفية تغيير المنطقة من حولك ... فتش في أصدقائك ... تخيَّر منهم من عنده عاطفة صادقة تجاه الاسلام ... ابدأ في التودد إليهم والتقرب منهم ومخالطتهم حتى تلحظ أنهم يكنون لك الحب والاحترام ، وهذا لا يكون في يوم وليلة بل يأتي بعد جهد كبير وتكلف أمور كثيرة ترقق قلوبهم لك ، وتضحية بالوقت والجهد والمال في سبيل الله وابتغاء مرضاته واعلاءً لدينه ، وعندما تحس منهم ذلك الحب ... ابدأ في مصارحتهم بالهدف الذي نحيا من أجله والطريق الذي يوصل إليه ... اذا كنت قد أحسنت الاختيار سيقتنعون بكلامك عن إصلاح النفس ودعوة الغير ، وهكذا ... يبدأ كل منهم في إصلاح نفسه وأهل بيته ثم إصلاح من حوله وأنت معهم لا تتوقف عن هذا ... حتى يذعن غالب المنطقة التي تسكن فيها أنت ومن معك للإسلام وتعلن ولاءها له ، وهكذا في كل منطقة إذا قام واحد فقط يدعو إلى ما اقتنع به من إصلاح النفس ودعوة الغير.

فإذا أصبح الحال في أغلب المناطق مثل المنطقة التي أنت فيها فإن المجتمع ينصلح تدريجياً ويتحول إلى مجتمع يقيم الإسلام ، لأن المجتمع المسلم ما هو إلا أفراد وأسر أصبحوا مسلمين كاملين .

وبعد أن يتجه المجتمع إلى الاسلام...لابد أن تنبثق منه ـ بإذن الله ـ طائفة تتسلم زمام الحكم ويصبح الحكم إسلامياً يطبق على شعب مسلم...وهكذا في بقية المجتمعات ، ثم تتوحد هذه جميعاً لتكون الدولة الإسلامية العالمية ، ويختار

أحد أفرادها خليفة للمسلمين وتعود الخلافة الإسلامية الراشدة المنشودة [١] .

تعقيب أخير :

ربما يسأل سائل لماذا قد يتأخر نصر الله لعباده المؤمنين ؟! أليسوا عباده . . . أليسوا هم الدعاة لدينه . . . فنقول له : إن هذه هي سنة الله الماضية ، سُنَّة الله في تمحيص المؤمنين وإعدادهم ليدخلوا الجنة ، وليكونوا لها أهلاً ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ . . . وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾ [محمد : ٤] فلابد أن يدافع أصحاب العقيدة عن عقيدتهم ؛ وأن يلقوا في سبيلها العنت والألم والشدة والضر ؛ وأن يتراوحوا بين النصر والهزيمة ؛ حتى إذا ثبتوا على عقيدتهم ، لم تزعزعهم شدة ، ولم ترهبهم قوة ، ولم يهنوا تحت مطارق المحن والفتن . . . حينئذ يستحقوا نصر الله ؛ لأنهم يومئذ أمناء على دين الله ، مأمونون على ما ائتمنوا عليه صالحون لصيانته والذود عنه . . . واستحقوا الجنة لأن أرواحهم قد تحررت من الخوف وتحررت من الذل ، وتحررت من الحرص على الحياة أو على الدعة والرخاء . . .فهي عندئذ أقرب ما تكون إلى عالم الجنة ، وأرفع ما تكون عن عالم الطين، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ :﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [البقرة : ٢١٤] . . . هكذا خاطب الله رسوله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وهكذا خاطب صحابته الكرام ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ وهكذا وجههم إلى تجارب الجماعات المؤمنة قبلها ، وإلى سنته ـ سبحانه وتعالى ـ في تربية عباده المختارين ، الذين يكل إليهم رايته ، وينوط بهم أمانته في الأرض ومنهجه وشريعته . . .وهو خطاب مطرد لكل من يُختار لهذا الدور العظيم . . .

قد يتأخر النصر لأن البنية الإيمانية والمادية للفئة المؤمنة لم تنضج بعد

---

(١) طوق النجاة .

نضجها ، ولم يتم بعد تمامها ، ولم تحشد بعد طاقاتها ، ولم تتحفز كل خلية وتتجمع لتعرف أقصى المذخور فيها من قوى واستعدادات . . . فلو نالت النصر حينئذ لفقدته وشيكاً لعدم قدرتها على حمايته طويلاً ! .

قد يتأخر النصر حتى تبذل الفئة المؤمنة آخر ما في طوقها من قوة ، وآخر ما تملكه من رصيد ، فلا تستبقي عزيزاً ولا غالياً ، إلا بذلته هيناً رخيصاً في سبيل الله.

قد يتأخر النصر حتى تجرب الفئة المؤمنة آخر قواها ، فتدرك أن هذه القوى وحدها بدون سند من الله لا تكفل النصر . . . إنما يتنزل النصر من عند الله عندما تبذل الفئة المؤمنة آخر ما في طوقها ثم تكل الأمر بعدها إلى الله ـ كما حدث في بدر ، وكما حدث في حنين بعد ما فاء المؤمنون إلى الله وأدركوا أن كثرتهم لم تغن عنهم من الله شيئاً .

قد يتأخر النصر لتزيد الفئة المؤمنة صلتها بالله ، وهي تعاني وتتألم وتبذل ، ولا تجد لها سنداً إلا الله ، ولا مُتوجَهاً إلا إليه وحده في الضراء . . . وهذه الصلة هي الضمانة الأولى لاستقامتها على النهج بعد النصر عندما يأذن به الله . . . فلا تطغى ولا تنحرف عن الحق والعدل والخير الذي نصرها به الله .

قد يتأخر النصر لأن الفئة المؤمنة لم تتجرد بعد في كفاحها وبذلها وتضحياتها لله ولدعوته ، فهي تدعوا لمغنم تحققه ، أو حمية لذاتها ، أو شجاعة أمام أعدائها . . . والله يريد أن تكون النيات خالصة له وحده . . . وفي سبيله وحده ، بريئة من المشاعر الأخرى التي قد تلابسها .

قد يتأخر النصر لأن في الشر الذي تكافحه الفئة المؤمنة بقية من خير، يريد الله أن يجرد الشر منها ليتمحص خالصاً ، ويذهب وحده هالكاً ، لا تتلبس به ذرة من خير تذهب في الغمار! ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ :﴿ **وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ** (١٤١) ﴾ [آل عمران : ١٤١].

قد يتأخر النصر لأن الباطل الذي تدافعه الفئة المؤمنة لم ينكشف زيفه للناس تماماً . . . فلو غلبه المؤمنون حينئذ فقد يجد له أنصاراً من المخدوعين فيه ، لم يقتنعوا بعد بفساده وضرورة زواله ؛ فتظل له جذور في نفوس الأبرياء الذين لم تنكشف لهم الحقيقة . . . فيشاء الله أن يبقى الباطل حتى يتكشف عارياً للناس ، ويذهب غير مأسوف عليه من ذي بقية ! ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ ﴿ **لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ** ﴾ [الأنفال : ٣٧] .

قد يتأخر النصر لأن البيئة لا تصلح بعد لاستقبال الحق والخير والعدل الذي تمثله الأمة المؤمنة . . . فلو انتصرت حينئذ للقيت معارضة من البيئة لا يستقر لها معها قرار . . . فيظل الصراع قائماً حتى تتهيأ النفوس من حوله لاستقبال الحق الظافر ، ولاستبقائه!.

قد يتأخر النصر حتى تزول كل الدعوات القومية والعرقية البغيضة وحتى تنكشف كل العقائد الفاسدة فـ ﴿ **مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ** ﴾ [آل عمران : ١٧٩] **ويظهر** للناس من يوقرون الوحي الإلهي . . . بل ويوقرون من عاش هذا الوحي المبارك كمنهج حياة وجاهد لإيصاله إلى العالم بأسره من صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ الذين زكّاهم الله ـ جلَّ وعلا ـ في كتابه الكريم . . . وزكّاهم رسوله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ ومات وهو راضٍ عنهم . . . **ويظهر** للناس أيضاً من لا يوقرون هذا الوحي الإلهي ولا يوقرون **جميع** صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ الذين زكّاهم الله ـ جلَّ وعلا ـ في كتابه الكريم . . . وزكّاهم رسوله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ ومات وهو راضٍ عنهم .

قد يتأخر النصر ﴿ **. . . لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ . . .** ﴾ [آل عمران : ١٤٠] ، ليتميز الصف ويتكشف عن مؤمنين ومنافقين ، ويظهر

هؤلاء وهؤلاء على حقيقتهم،وتتكشف في دنيا الناس دخائل النفوس ... ويزول عن الصف ذلك الدخل وهم مختلطون مبهمون ! ، ومن ثم يحاسبهم الله ويجازيهم على أفعالهم... فالله ـ سبحانه ـ لا يحاسب الناس على ما يعلمه من أمرهم ولكن يحاسبهم على وقوع الفعل منهم...وفى الجانب المقابل يختار الله من بين المجاهدين **شهداء** ويتخذهم لنفسه ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿ **وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ** ﴾ فما هي رزية إذن ولا خسارة أن يُستشهد في سبيل الله من يُستشهد ... إنما هو اختيار وتشريف وانتقاء وتكريم واختصاص بالقرب من الله رب العالمين ... ثم هم شهداء يتخذهم الله ويستشهدهم على هذا الحق الذي بعث به للناس ... على أن ما جاءهم من عنده الحق ، وعلى أنهم آمنوا به وتجردوا له وأعزوه حتى أرخصوا كل شيء دونه ، وعلى أن حياة الناس لا تصلح ولا تستقيم إلا بهذا الحق ، وعلى أنهم هم استيقنوا هذا فلم يألوا جهداً في كفاح الباطل وطرده من حياة الناس وإقرار هذا الحق في عالمهم وتحقيق منهج الله في حكم الناس . . . يستشهدهم الله على هذا كله فيشهدون . . . وتكون شهادتهم هي هذا الجهاد حتى الموت . . . وهي شهادة لا تقبل الجدال والمحال ! .

قد يتأخر النصر حتى تلفظ الأمة بأسرها كل شرع وكل دستور وكل قانون ، بل وكل منهج تربوي وُضع للناس وللمدارس والمعاهد والجامعات مُخالف لشرع الله ـ عز وجلَّ ـ ... حتى أولئك المشرِّعون لهذه القوانين وتلك المناهج تلفظها ! . . . ذلك لأن أولئك المشرِّعون ذاقوا في أنفسهم وأذاقوا غيرهم الويلات والويلات . . . لفساد تلك التشريعات والقوانين في نفسها . . . ولتدميرها للناس في دينهم وفى نفوسهم وأفكارهم وأعراضهم وأموالهم ! . . حتى صرخ الناس . . . كل الناس . . . واستغاثوا . . . من انتشار الفساد والظلم في كل نواحي الحياة ، بل ومن انتشار الفواحش والمخدرات بين طلاب الجامعات والمعاهد بل والمدارس ! ـ إي والله المدارس ـ حتى طال أبناء أولئك المشرِّعون أنفسهم !

مصداقاً لقول الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [الطلاق : ٨ – ١٠] . . . وحتى يعلموا أن لا مفر إلا إلى الله . . . ولا حل إلا بالرجوع إلى شرعه ومنهجه الحكيم المُحكم . . . في كل نواحي الحياة بل في كل صغيرة وكبيرة ﴿ . . . إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ . . . ﴾ [يوسف : ٤٠] ! .

قد يتأخر النصر وتبلغ المحنة مداها حتى تتزلزل القلوب . . . القلوب الموصولة بربها ! . . . ولن تكون إلا محنة فوق الوصف ، تلقي ظلالها على مثل هاتيك القلوب، فتبعث منها ذلك السؤال المكروب : ﴿ . . . مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ . . . ﴾؟ . . .وعندما تثبت القلوب على مثل هذه المحنة المزلزلة . . . عندئذ تتم كلمة الله ، ويجيء النصر من الله : ﴿ . . . أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ . . .

إنه مدخر لمن يستحقونه . . . ولن يستحقه إلا الذين يثبتون حتى النهاية . . . الذين يثبتون على البأساء والضراء . . . الذين يصمدون للزلزلة . . . الذين لا يحنون رؤوسهم للعاصفة . . . الذين يستيقنون أن لا نصر إلا نصر الله ، وعندما يشاء الله . . . وحتى حين تبلغ المحنة ذروتها ، فهم يتطلعون فحسب إلى ـ **نصر الله العلي الأعلى** ـ لا إلى أي حل آخر، ولا إلى أي نصر لا يجيء من عند الله . . . ولا نصر إلا من عند الله .

إن الصراع مع الباطل والصبر عليه يهب النفوس قوة ، ويرفعها على ذواتها ، ويطهرها في بوتقة الألم ، فيصفو عنصرها ويضيء ، ويهب العقيدة عمقاً وقوة وحيوية فتتلألأ حتى في أعين أعدائها وخصومها . . . وعندئذ يدخلون في دين الله أفواجاً كما وقع ، وكما يقع في كل قضية حق . . . يلقى أصحابها ما يلقون

في أول الطريق ، حتى إذا ثبتوا للمحنة انحاز إليهم من كانوا يحاربونهم ، وناصرهم أشد المناوئين وأكبر المعاندين . . .

قد يتأخر النصر فتبلغ بالدعاة الشدة والكرب والضيق والحرج فوق ما يطيقه بشر ، وهم يواجهون الظلم والفسوق بل والعمى والإصرار والجحود . . . وتمر الأيام وهم يدعون فلا يستجيب لهم إلا قليل ، وتكر الأعوام والباطل في قوته ، وكثرة أهله ، والمؤمنون في عدتهم القليلة وقوتهم الضئيلة . . . وفى المقابل ينتفش الباطل ويطغى ويبطش ويغدر . . . والدعاة ينتظرون الوعد فلا يتحقق لهم في هذه الأرض . . . فتهجس في خواطرهم الهواجس . . . تراهم كُذبوا؟ ترى نفوسهم كذبتهم في رجاء النصر في هذه الحياة الدنيا ؟ . . . ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا** ... ﴾ [يوسف : ١١٠] وفي هذه اللحظة التي يستحكم فيها الكرب ، ويأخذ فيها الضيق بمخانق الدعاة ، ولا تبقى ذرة من الطاقة المدخرة . . . في هذه اللحظة يجيء النصر كاملاً حاسماً فاصلاً : ﴿ ... **جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ** (١١٠) ﴾ [يوسف : ١١٠].

من أجل هذا كله . . . ومن أجل غيره مما يعلمه الله ، قد يتأخر النصر ، فتتضاعف التضحيات ، وتتضاعف الآلام . . . مع دفاع الله عن الذين آمنوا . . . بل وتحقيق النصر لهم في النهاية .

تلك سُنَّة الله في الدعوات . . . لا بد من الشدائد ، ولا بد من الكروب ، حتى لا تبقى بقية من جهد ، ولا بقية من طاقة . . . ثم يجيء النصر بعد اليأس من كل أسبابه الظاهرة التي يتعلق بها الناس . . . يجيء النصر من عند الله ، فينجو الذين يستحقون النجاة ، ينجون من الهلاك الذي يأخذ المكذبين ، وينجون من البطش والعسف الذي يسلطه عليهم المتجبرون . ويحل بأس الله بالمجرمين ، مدمراً ماحقاً لا يقفون له ، ولا يصده عنهم ولي ولا نصير .

هذا هو الطريق : إيمان وجهاد . . . ومحنة وابتلاء وتمحيص . . . وصبر وثبات . . . وتوجه إلى الله وحده . . . ثم يجيء النصر . . . ثم يجيء النعيم . . .

كل ذلك كي لا يكون النصر رخيصاً فتكون الدعوات هزلاً . . . فلو كان النصر رخيصاً لقام في كل يوم دعيٌّ بدعوة لا تكلفه شيئاً . . . أو تكلفه القليل . . . ودعوات الحق لا يجوز أن تكون عبثاً ولا لعباً . . . فإنما هي قواعد للحياة البشرية ومناهج ، ينبغي صيانتها وحراستها من الأدعياء . . . والأدعياء لا يحتملون تكاليف الدعوة ، لذلك يشفقون أن يدَّعوها ، فإذا ادَّعوها عجزوا عن حملها وطرحوها ، وتبين الحق من الباطل على محك الشدائد التي لا يصمد لها إلا الواثقون الصادقون؛ الذين لا يتخلون عن دعوة الله ، ولو ظنوا أن النصر لا يجيئهم في هذه الحياة ! .

إن الدعوة إلى الله ليست تجارة قصيرة الأجل ، إما أن تربح ربحاً معيناً محدداً في هذه الأرض ، وإما أن يتخلى عنها أصحابها إلى تجارة أخرى أقرب ربحاً وأيسر حصيلة ! والذي ينهض بالدعوة إلى الله في المجتمعات الجاهلية – والمجتمعات الجاهلية هي التي تدين لغير الله بالطاعة والاتباع في أي زمان أو مكان – يجب أن يوطن نفسه على أنه لا يقوم برحلة مريحة ، ولا يقوم بتجارة مادية قريبة الأجل ! إنما ينبغي له أن يستيقن أنه يواجه طواغيت يملكون القوة والمال ويملكون استخفاف الجماهير حتى ترى الأسود أبيضاً والأبيض أسوداً ! ويملكون تأليب هذه الجماهير ذاتها على أصحاب الدعوة إلى الله ، باستثارة شهواتها وتهديدها بأن أصحاب الدعوة إلى الله يريدون حرمانها من هذه الشهوات!.

ويجب أن يستيقنوا أن الدعوة إلى الله كثيرة التكاليف ، وأن الانضمام إليها في وجه المقاومة الجاهلية كثيرة التكاليف أيضاً . . . وأنه من ثم لا تنضم إليها في أول الأمر الجماهير المستضعفة، إنما تنضم إليها الصفوة المختارة في الجيل كله ، التي تؤثر حقيقة هذا الدين على الراحة والسلامة ، وعلى كل متاع هذه الحياة

الدنيا . . . وأن عدد هذه الصفوة يكون دائماً قليلاً جداً . . . ولكن الله يفتح بينهم وبين قومهم بالحق ، بعد جهاد يطول أو يقصر . . . وعندئذ فقط تدخل الجماهير في دين الله أفواجاً .

وهنا قد يسأل سائلٌ أيضاً أليس الله ـ تبارك وتعالى ـ قد ضمن للمؤمنين بأن يدافع عنهم . . .ومن يدافع الله عنه فهو ممنوع حتماً من عدوه ، ظاهرٌ حتماً على عدوه . . . ففيم إذن المعاناة والجهاد ؟ وفيم إذن يصيبهم القتل والجرح ، والجهد والمشقة ، والتضحية والآلام . . . والعاقبة معروفة ، والله قادر على تحقيق العاقبة لهم بلا جهد ولا مشقة ، ولا تضحية ولا ألم ، ولا قتل ولا قتال ؟.

والجواب أن حكمة الله في هذا هي العُليا ، وأن لله الحجة البالغة . . . والذي ندركه نحن البشر من تلك الحكمة ويظهر لعقولنا ومداركنا من تجاربنا ومعارفنا أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لم يرد أن يكون حملة دعوته وحماتها من ـ **التنابلة** ـ الكسالى ، الذين يجلسون في استرخاء ، ثم يتنزل عليهم نصره سهلاً هيناً بلا عناء ، لمجرد أنهم يقيمون الصلاة ويرتلون القرآن ويتوجهون إلى الله بالدعاء ، كلما مسهم الأذى ووقع عليهم الاعتداء! .

نعم إنهم يجب أن يقيموا الصلاة ، وأن يرتلوا القرآن ، وأن يتوجهوا إلى الله بالدعاء في السراء والضراء . . . ولكن هذه العبادة وحدها لا تؤهلهم لحمل دعوة الله وحمايتها ؛ إنما هي الزاد الذي يتزودونه للمعركة . . . والذخيرة التي يدخرونها للموقعة ، والسلاح الذي يطمئنون إليه ، لكن لابد أن يواجهوا الباطل بكل ما يستطيعون من قوة وسلاح ، ويزيدون عنه سلاح التقوى والإيمان . . . وسلاح الاتصال بالله ـ عز وجلَّ ـ .

والنصر السريع الذي لا يكلف عناءً ، والذي يتنزل هيناً ليناً على القاعدين المستريحين يعطل الطاقات عن الظهور ، لأنه لا يحفزها ولا يدعوها . . . وذلك فوق أن النصر السريع الهين اللين سهل فقدانه وضياعه . . . **أولاً** لأنه رخيص

الثمن لم تبذل فيه تضحيات عزيزة . . . **وثانياً** لأن الذين نالوه لم تدرب قواهم على الاحتفاظ به ولم تشحذ طاقاتهم وتحشد لكسبه . . . فهي لا تتحفز ولا تحتشد للدفاع عنه .

وهناك التربية الوجدانية والدربة العملية تلك التي تنشأ من النصر والهزيمة ، والكر والفر ، والقوة والضعف ، والتقدم والتقهقر . . . ومن المشاعر المصاحبة لها . . . من الأمل والألم . . . ومن الفرح والغم ، ومن الاطمئنان والقلق . . . ومن الشعور بالضعف والشعور بالقوة . . . ومعها التجمع والفناء في العقيدة والجماعة والتنسيق بين الاتجاهات في ثنايا المعركة وقبلها وبعدها وكشف نقط الضعف ونقط القوة ، وتدبير الأمور في جميع الحالات . . وكلها ضرورية للأمة التي تحمل الدعوة عليها وعلى الناس .

وللنصر ـ إخواني الكرام ـ تكاليفه وأعباؤه حين يأذن به الله بعد استيفاء أسبابه وأداء ثمنه ، وتهيؤ الجو حوله لاستقباله واستبقائه : ﴿ . . . **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾** ﴾ [الحج : ٤٠ ـ ٤١] .

فوعد الله المؤكد الوثيق المتحقق الذي لا يتخلف هو أنه ينصر من ينصره . . . وهؤلاء الذين ينصرون الله ، فيستحقون بذلك نصر الله القوي العزيز الذي لا يهزم . . . إنهم : ﴿ **الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ** ﴾ . . فحققنا لهم النصر ، وثبتنا لهم الأمر . . . ﴿ **أَقَامُوا الصَّلَاةَ** ﴾ . . . فعبدوا الله ووثّقوا صلتهم به ، واتجهوا إليه طائعين خاضعين مستسلمين . . . ﴿ . . . **وَآتَوُا الزَّكَاةَ** . . . ﴾ . . . فادوا حق المال ، وانتصروا على شح النفس ، وتطهروا من الحرص ، وغلبوا وسوسة الشيطان ، وسدوا خلة الجماعة ، وكفلوا الضعاف فيها والمحاويج ، وحققوا لها صفة الجسم الحي ، كما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ : « **مَثَلُ**

المُؤْمنين في تَوادِّهمْ وتَراحُمِهِم وتَعاطُفِهمْ مثَلُ الجَسَد ، إذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَداعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى »[١] ﴿ ...**وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ**... ﴾ ... فدعوا إلى الخير والصلاح ،ودفعوا إليه الناس ... ﴿ ... **وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ** ... ﴾ فقاوموا الشر والفساد ، وحققوا بهذا وذاك صفة الأمة المسلمة التي لا تبقى على منكر وهي قادرة على تغييره ، ولا تقعد عن معروف وهي قادرة على تحقيقه ﴿ ... **وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ** ... ﴾ من قبل ومن بعد [٢] .

وتذكر ـ أخي الكريم ـ أننا لو قرأنا قول الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)** ﴾ [يوسف : ١٠٨] ، فعمل بها كل واحد منا وأثّرت دعوته هذه في واحد فقط كل عام فدعا بمثل دعوته . . . وهكذا متوالية هندسية ١ ، ٢ ، ٤ ، ٨ ، ١٦ ، ٣٢ ، ٦٤ ، ١٢٨ ، ٢٥٦ ، ٥١٢ ، ١٠٢٤ ، ٢٠٤٨ ، ٤٠٩٦ . . .لأصبح العالم أجمع مسلماً في سنوات معدودة . . . فهل من مشمر! .

الدعوة إلى الله والعبادة في آخر الزمان ووقت الفتن :

قال رسول الله ـ ﷺ : « **عبادة في الهرج والفتنة كهجرة إليّ** »[٣] ، وقال أيضاً : « **بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيباً وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيباً فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ** »[٤] ، وفى بعض الروايات عند غير مسلم « قيل ومن الغرباء يا رسول الله ؟ ، **قال : الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدى من سُنَّتي** »[٥] ، وفي الحديث دعوة صريحة إلى إصلاح ما أفسد الناس من منهج النبوة والعمل الجاد لرد الشاردين إلى الطريق المستقيم ، وفى رواية أخرى « **الذين ينقصون إذا زاد الناس**»[٦] ، أي يزيدون خيراً وإيماناً وتقى إذا نقص الناس من ذلك ، وفى رواية أخرى « قيل ومن الغرباء ؟، **قال : النزَّاع من القبائل** »[٧]، أي الذين نزعوا عن أهليهم وعشيرتهم

---

(١) متفق عليه . (٢) في ظلال القرآن ـ بتصرف. (٣) صحيح الجامع . (٤) مسلم.
(٥) الترمذي وحسنه . (٦) أحمد . (٧) صحيح سُنن ابن ماجه .

وهاجروا بأبدانهم أو بعقولهم وقلوبهم في سبيل الإسلام ، وفى رواية أخرى « قيل ومن الغرباء ؟، قال : **ناس صالحون قليل في ناس سوء كثير ، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم** »[1] ، وفى رواية أخرى « قيل ومن الغرباء ؟، **قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها للناس** » .

فهم إذاً ليسوا طائفة مترهبة منعزلة ، بل هم طائفة قائمون على الحق يؤدون دور الصحابة في بداية نشأة الإسلام ، فقد كانوا غرباء، فلم تثنهم غربتهم عن الدعوة والجهاد لدين الله ـ وإن كان من يعصيهم أكثر مما يطيعهم ـ فهم يعملون على الإصلاح ، ويحاولون إزالة الفساد ، وهذا يدل على غيرتهم وتمام قيامهم بواجبهم ، فهم ليسوا يائسين مستسلمين ولا قابعين في بيوتهم يتاوهون على ما صار عليه الحال من غربة الدين مسلّمين بالأمر الواقع ، بل هم على العكس متحركون فاعلون إيجابيون مواصلون متشبسون بالدين منافحون عنه موسعون لدائرته متحدون لكل العراقيل الموضوعة في طريقهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ شارحاً لهذا الحديث : وكثير من الناس إذا رأى المنكر أو تغير كثير من أحوال الإسلام جزع وناح كما ينوح أهل المصائب وهو منهي عن هذا بل مأمور بالصبر والتوكل والثبات على دين الإسلام وأن يؤمن بالله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ... وهذا الحديث يفيد المسلم أنه لا يغتر بقلة من يعرف حقيقة الإسلام ولا يضيق صدره بذلك ولا يكون في شك من دين الإسلام كما كان الأمر حين بدأ .

فهؤلاء هم الغرباء الممدوحون المغبوطون ، ولقلتهم في الناس جداً سموا ـ **غرباء** ـ فإن أكثر الناس على غير هذه الصفات، فأهل الإسلام في الناس غرباء ، وأهل الحق والسُّنَّة والجماعة فيهم غرباء ، وكيف لا تكون فرقة واحدة قليلة جداً غريبة بين اثنتين وسبعين فرقة ذات أتباع ورئاسات ، ومناصب وولايات

---

(١) السلسلة الصحيحة.

لا يقوم لها سوق إلا بمخالفة ما جاء به الرسول ـ ﷺ ـ ببدعهم وشبهاتهم وشهواتهم .... والمؤمنون بصدقٍ في هؤلاء غرباء ، وأهل العلم فيهم غرباء، وأهل السُّنَّة ـ الذين يعملون بها ويميزونها من الأهواء والبدع ـ بينهم غرباء ـ والداعون إليها الصابرون على أذى المخالفين هم أشد غربة ، ولكن هؤلاء هم أهل الله حقاً فلا غربة عليهم فإنهم لم يأووا إلى غير الله ، ولم يهتدوا بغير هدى رسوله ـ ﷺ ـ ولم يدعوا الناس إلا إلى ما جاء به .

وفى الحديث إشارة واضحة إلى أن غربة الدين وغربة أهله لا تستمر ، وأنها ليست قانوناً حتمياً ، كما يفيد الحديث أن العزة ستعود للمؤمنين ، وأن الذلة ستلحق الكافرين ، ولو علوا وطغوا وتجبروا بما أتوا من قوة وجبروت ، لكن يبقى أن يتحرك المسلمون وأن يعملوا جميعاً لتحقيق هذا الوعد والتعجيل به ، فالله ـ تبارك وتعالى ـ قد تكفل لدينه بالظهور ، ويبقى تنفيذ الوعد بأيدي المسلمين حتى لا يفهم أحد من هذه البشارات التواكل ، والاسترخاء ، وعدم العمل ، وترك التبليغ ، والركون إلى الدعة ، بحجة أن الله سينصر دينه لا محالة ، فهذا الفهم ليس بسليم ، فالله ـ تبارك وتعالى ـ سينصر هذا الدين بنا ، وإن تخلينا فسينصره بغيرنا ، قال الله ـ تبارك تعالى ـ : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ [محمد :٣٨] ، وقال أيضاً :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة : ٥٤] ، فما أحوجنا إلى رجال يحققون وعد الله ، ويستنزلون نصر الله ، ويكونون رحماء بإخوانهم المؤمنين ، ويوم تتحقق فينا هذه الأوصاف ، فإننا سنخرج من دائرة الغربة إلى دائرة الكثرة والشمولية .

ومن صفات هؤلاء الغرباء التمسك بالسُّنَّة إذا رغب عنها الناس وترك ما أحدثوه وإن كان هو المعروف عندهم ، وتجريد التوحيد لله بعلمهم أن لا خالق ولا

فاعل في الحقيقة إلا الله ، وكل فاعل غيره فهو آلة له ، فيخلصوا لله في كل نياتهم وأقوالهم وأفعالهم ، وإن أنكر ذلك أكثر الناس ، ومن صفاتهم ترك الانتساب إلى أحد غير الله ورسوله ـ ﷺ ـ ، لا شيخ ، ولا طريقة ، ولا مذهب ، ولا طائفة ، بل هؤلاء الغرباء منتسبون إلى الله وحده بالعبودية، وإلى رسوله ـ ﷺ ـ وحده بالاتباع لما جاء به، وهؤلاء هم القابضون على الجمر حقاً ،وأكثر الناس ـ بل كلهم ـ لائم لهم فلغربتهم بين الخلق يعدونهم أهل شذوذ وبدعة،ومفارقة للسواد الأعظم، لذا فهم المعنيون أكثر من غيرهم بقول رسولنا ـ ﷺ ـ : « **إن من ورائكم أيام الصبر للمتمسك فيهن يومئذ بما أنتم عليه أجر خمسين منكم ، قالوا يا نبي الله أو منهم قال بل منكم** »، وورد بلفظ : « **خمسين شهيداً منكم** » [١] ، وقوله : « **ليدركن المسيح أقواماً إنهم لمثلكم أو خير ـ ثلاثاً ـ ولن يخزى الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها** » [٢] .

وهذه الغربة قد تكون في مكان دون مكان ، ووقت دون وقت ، وبين قوم دون قوم [٣] .

وفى نهاية الكلام في موضوع الدعوة إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ أهمس في أذن إخوانى جميعاً ، مذكراً بحديث النبي ـ ﷺ ـ « **إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية** » [٤]، وفى الحديث حصر وقصر، فالشيطان وهو « **ذئب الإنسان** » [٥] يأخذ من المسلمين فقط ، وإن كانوا دعاة وأصحاب علم ، المنفرد بنفسه البعيد عن الجماعة ، ناهيك عن واجب العمل لعودة الخلافة الراشدة والذي يستلزم العصبة والاعتصام لا الفُرقة ، وقد قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ **سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ** ﴾ [القصص : ٣٥] .

---

(١) السلسلة الصحيحة.

(٢) رواه ابن أبى شيبة ، وضعفه الالباني في السلسلة الضعيفة.

(٣) ثقافة الداعية ، المبشرات بانتصار الإسلام ، مدارج السالكين ـ بتصرف ـ .

(٤) صحيح الترغيب والترهيب .

(٥) ضعيف الجامع ، وقال الحافظ العراقي رجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعاً.

وقَالَ رَسُولُه ـ ﷺ ـ : « مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ ثُمَّ مَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً ، وَمَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِلْعَصَبَةِ وَيُقَاتِلُ لِلْعَصَبَةِ فَلَيْسَ مِنْ أُمَّتِي ، وَمَنْ خَرَجَ مِنْ أُمَّتِي عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا لاَ يَتَحَاشَ مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلاَ يَفِي بِذِي عَهْدِهَا فَلَيْسَ مِنِّي »[1] ، وصدق الله وصدق رسوله ـ ﷺ ـ .

(١) مسلم .

الجهـــاد في سبيل الله

الجهاد هو بذل الوسع وغاية الجهد لنيل أعظم مطلوب، وأعظم مطلوب للمؤمن هو رضـا الله والقـرب منه أعلى درجـات الجنة،و الجـهـاد هو ذروة سنام الإسـلام ؛ ويكون الجهاد **للنفس ،وللشيطان ،وللفساق ،والظالمين ،وللمنافقين ،وللكافرين** .

أولاً : جهاد النفس :

وذلك بمجاهدتها في طلب مرضاة الله ـ عز وجلَّ ـ ، وصرفها عن هواها فيما يخالف شرع الله ـ عز وجلَّ ـ ، وحملها على تعلم الهدى ودين الحق وجهادها على العمل به والدعوة إليه ، والصبرعلى مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق ، قال رسول الله ـ ﷺ ـ:«**وأفضل الجهاد من جاهد نفسه في ذات الله ـ عز وجلَّ ـ**»(١) وقد تكفل الله ـ تبارك وتعالى ـ لمن جاهـد نفسه بصـدق بالإعانـة والمعيّـة ، فقال ـ جلَّ وعـلا ـ : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [العنكبوت : ٦٩] ، والمجاهدة لا تعنى أن يجاهد المرء نفسه مرة أو مرتين أو أكثر، بـل تعنـى أن يجاهـد نفسه حتى يمـوت ، ذلك أن المجاهـدة عبـادة ، والله ـ تبارك وتعالى ـ يقول :﴿ **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر : ٩٩] ، واعلم أخي الكريم أن من جاهد نفسه وملك زمامها هان عليه جهاد بل والانتصار على ما عداها ؛ فالنفس البشرية لا تنتصر في المعارك الحربية إلا حين تنتصر في المعارك الشعورية ـ **داخل النفس** ـ والأخلاقية مع الله ـ تبارك وتعالى ـ ومع رسوله ـ ﷺ ـ ومع الناس، مثاله الذين تولـوا يوم التقـى الجمعـان في أُحُد ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ** ﴾ [آل عمران :١٥٥]،ومن أراد المزيد من ذلك فليراجع الآيات ٢٤٦ـ٢٥٢ من سورة البقرة .

---

(١) صحيح الجامع ، وفى رواية " **نفسه وهواه** " .

ثانياً : جهاد الشيطان :

قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ** (٦) ﴾ [فاطر : ٦] ، وعمل الشيطان ـ لعنه الله ـ هو الوسوسة والتزيين وإلقاء الأماني الكاذبة ﴿ **وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا** (١١٨) **وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا** (١١٩) **يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا** (١٢٠) ﴾ [النساء : ١١٨-١٢٠] ، وجهاده يكون بدفع ما يأتي به من وساوس وشبهات وشكوك باليقين ، وترك ما يزينه من شهوات بالصبر ، وهذه المجاهدة تكون حتى الممات ، فالشيطان ـ لعنه الله ـ لا ييأس من معاودة الكرة لإضلال ابن آدم ، بل لا ينام أبداً ؛ وإلا لاسترحنا ! .

وسائل الشيطان ـ لعنه الله ـ لإضلال بني آدم :

أولاً : دعوة الإنسان إلى الشرك والكفر بالله ـ تبارك وتعالى ـ ؛ فالشيطان يدعو الإنسان في كل مكان وزمان إلى الشرك والكفر بالله ـ تبارك وتعالى ـ ، فإذا نجح في ذلك واستجاب له ابن آدم ، استراح منه الشيطان وجعله جنداً من جنوده ثم يتبرأ منه يوم القيامة .

ثانياً : إيقاع المسلم في البدعة في الدين ؛ فإذا فشل الشيطان في إيقاع الإنسان في الشرك فإنه يدعوه إلى الابتداع في الدين،وقد قال رسول الله ـ ﷺ ـ: « **فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي** »(١) .

ثالثاً : تزيين فعل الكبائر ؛ فإذا عجز الشيطان عن إيقاع المسلم في طريق البدع ووجده يسلك سبيل أهل السُّنَّة والجماعة فإنه ينتقل إلى دعوته إلى ارتكاب الكبائر باختلاف أنواعها، ويحرص الشيطان على أن يوقع الإنسان

---

(١) مسلم.

المسلم فيها ، خاصة إذا كان عالماً متبوعاً ، حتى ينشر ذنوبه ومعاصيه بين الناس ، وذلك لينفر الناس عنه وعن الانتفاع بعلمه .

رابعاً : إغراق الإنسان في فعل الصغائر ؛ فإذا لم يقدر الشيطان على إيقاع الإنسان في ارتكاب الكبائر فإنه يدعوه إلى ارتكاب الصغائر التي إذا اجتمعت عليه ربما أهلكته ، ولا يزال الشيطان يُسهّل على الإنسان محقرات الذنوب حتى يستهين بها ، فيكون صاحب الكبيرة الخائف منها أحسن حالاً منه ، قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **يا عائشة إياك ومحقرات الأعمال** ـ وفي لفظ ، الذنوب ـ **فإن لها من الله طالباً** » [1] ، ومعلوم أن الجبال من الحصى .

خامساً : إلهاء الإنسان في المباحات ؛ فإذا عجز الشيطان أن يوقع الإنسان في صغائر الذنوب دعاه إلى الاشتغال بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب ، بل عاقبتها فوات الثواب الذي ضاع عليه باشتغاله بها ، والإغراق فيها وإن كانت مباحة لكنها تنافي المراتب العالية .

سادساً : الاشتغال بالمفضول عما هو أفضل منه ؛ فإذا عجز أن يشغل الإنسان بالأمور المباحة وكان الإنسان حافظاً لوقته شحيحاً به يعلم مقدار أنفاسه وانقطاعها وما يقابلها من النعيم والعذاب ، حاول أن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه ، ليزيح عنه الفضيلة ويفوته ثواب العمل الفاضل ، فيامره بفعل الخير المفضول ويحضّه عليه ويحسنه له إذا تضمن ذلك ترك ما هو أفضل وأعلى منه ، وقل من ينتبه من الناس لهذا ، فالشيطان يامر بسبعين باباً من أبواب الخير ، إما ليتوصل بها إلى باب واحد من الشر وإما ليفوّت بها خيراً عظيماً من تلك السبعين باباً .

وهذا لا يتوصل إلى معرفته إلا بنور من الله يقذفه في قلب العبد يكون سببه تجريد متابعة النبي ـ ﷺ ـ وشدة عناية العبد بمراتب الأعمال عند الله وأحبها إليه

---

(١) السلسلة الصحيحة .

وأرضاها له وأنفعها للعبد وأعمها نصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولعباده المؤمنين ، خاصتهم وعامتهم ، **لذلك فعند تزاحم الأعمال الصالحة وتعذر عمل اثنين من أعمال البر في وقت واحد**، يُقدم الأفضل على المفضول،والراجح على المرجوح ، والأهم على المهم،والأحب على المحبوب ، هذا في أعمال البر غير الواجبة ، أما في الواجبة فالواجب مقدم على المندوب وعلى ما ليس بواجب فـ« **الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا : إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ** »(١) .(٢) .

سابعاً : تسليط الإنس والجن ؛ فإذا عجز الشيطان عن إيقاع الإنسان في واحدة مما سبق ، سلط عليه حزبه من الإنس والجن بأنواع الأذى والتكفير والتضليل والتبديع والتحذير منه و... ، بقصد إخماله وإطفاءه ليشوش عليه قلبه ، ويشغل بحربه فكره ، وليمنع الناس من الانتفاع به ، فيبقى سعيه في تسليط المبطلين من شياطين الإنس والجن عليه لا يفتر(٣) .

ما يعتصم به العبد من الشيطان الرجيم ـ لعنه الله ـ ويستدفع به شره ويحترز به منه :

(١) الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ، ـ لعنه الله ـ ومعناها الالتجاء إلى الله والاستجارة به ليدفع عن العبد السيئات والسوء ، فهي اعتراف لله بالقدرة المطلقة وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة عدوه وخصوصاً هذا العدو المبين العداوة ، الباطن ، الذي لا يقدر على دفعه ومنعه إلا الله الذي خلقه ، ولمّا كان الشيطان ـ لعنه الله ـ يرى الإنسان من حيث لا يراه هو ، استعيذ منه بالذي يراه ويقدر عليه ولا يراه الشيطان ولا يقدر عليه ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ **وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦)** ﴾ [فصلت :٣٦] ، ﴿ **وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠) إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا**

(١) متفق عليه . (٢) في فقه الأولويات . (٣) التفسير القيم .

مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠١) ﴾[الأعراف: ٢٠٠-٢٠١] ، وهذا السمع المذكور هو سمع الإجابة لا مجرد السمع العام المؤكد بـ«هو» في سورة فصلت الدَّال على تأكيد النسبة واختصاصها ، وفي الحديث المتفق عليه « استَبَّ رَجُلاَن عِنْدَ النَّبِيِّ - ﷺ - فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا تحمرُّ عَيْنَاهُ وَتَنْتَفِخُ أَوْدَاجُهُ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ : إِنِّي لأَعْرِفُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ »

(٢) قراءة المعوذات ، وهي سور الإخلاص والفلق والناس : فإن لها تأثيراً عجيباً في الاستعاذة بالله من شره والتحصن منه ودفعه « فعن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال : أمرني رسول الله - ﷺ - أن أقرأ بالمعوذات دبر كل صلاة »(١) ، و« عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ »(٢).

و« عن عبد الله بن خبيب عن أبيه - رضي الله عنه - أنه قال: خرجنا في ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب رسول الله - ﷺ - ليصلي بنا ، فادركناه فقال : **قل** ، فلم أقل شيئاً ، ثم قال : **قل** ، فلم أقل شيئاً ، ثم قال : **قل** ، قلت يا رسول الله : ما أقول ، قال : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ - والمعوذتين - حين تصبح وحين تمسي ثلاث مرات تكفيك من كل شيء »(٣) ، و« كان رسول الله - ﷺ - يتعوذ من الجان وعين الإنسان ، حتى نزلت المعوذتان ، فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما »(٤)، وقال رسول الله - ﷺ - : «ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون ، ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ »(٥) .

---

(١) صحيح سنن أبي داود. (٢) البخاري

(٣) صحيح الترغيب والترهيب. (٤) ، (٥) صحيح الجامع

(٣) قراءة سورة البقرة : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **لاَ تجعلوا بيوتكم مقابر إنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِى تُقْرأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقرَةِ** » (١) .

(٤) قراءة آية الكرسي : قال رسول الله ـ ﷺ ـ :« **إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِراشك فَاقْرأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ لَنْ يَزَالَ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلاَ يَقْربُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ** » (٢) .

(٥) قراءة خاتمة سورة البقرة : قال رسول الله ـ ﷺ ـ: « **مَنْ قَرأَ بِالآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ** » (٣) ، وقال أيضاً : « **إن الله تعالى كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام وهو عند العرش وإنه أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة ولا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها الشيطان** » (٤) .

(٦) قول « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » كل يوم مائة مرة : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ ، وَكُتِبَ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلاَّ رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ** » (٥) .

(٧) كثرة ذكر الله ـ عز وجلَّ ـ : فالشيطان من صفته أنه خنَّاس أي ينقبض ويتجمع ويتضاءل إذا ذكر العبد الله وإذا غفل العبد عن ذكر ربه التقم الشيطان ـ لعنه الله ـ قلبه وألقى إليه الوساوس التي هي مبدأ الشر كله .

(٨) الصبر والصلاة : قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ﴾ [البقرة : ٤٥-٤٦] ؛والفقه في الدين ومعرفة مداخل إبليس الملعون ومخارجه

---

(١) مسلم . (٢) ، (٣) متفق عليه .
(٤) صحيح الجامع . (٥) متفق عليه .

وما يريده من ابن آدم .

(٩) الإمساك عن فضول الكلام والطعام والنظر، ومخالطة الناس : فإن الشيطان ـ لعنه الله ـ ينال غرضه من ابن آدم من هذه الأبواب ؛ وقد نهى رسول الله ـ ﷺ ـ عن فضول الكلام فقال : « **مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ ...** »[١] ، ونصح معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ بقوله : « **... ألا أخبرك بملاك ذلك كله، كف عليك هذا** ـ وأشار إلى لسانه ـ قال يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ، قال : **ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم** »[٢] ؛ ونهى عن فضول الطعام بقوله : « **ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنه ، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة ؛ فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه** »[٣] ؛ ونهى عن فضول النظر بقوله : « **النظر سهم مسموم من سهام إبليس** »[٤] ، ورب سهم أوقع صاحبه في مقتل ! ، أما فضول المخالطة : فهل داء الناس إلا الناس ؟! ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾ [الفرقان : ٢٠] .

(١٠) الإخلاص لله ـ تبارك وتعالى ـ في السر والعلانية ، في القول والفعل ، وتجريد التوحيد له ـ تبارك وتعالى ـ : قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧)** ﴾ [الأنعام : ١٧] ، وقال ـ جلَّ شانه ـ : ﴿ **وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ** ﴾ [يونس : ١٠٧]، وأوصى رسول الله ـ ﷺ ـ عبد الله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فقال : « **يا غلام إني أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد**

---

(١) متفق عليه .
(٢) صحيح الجامع .
(٣) صحيح الجامع .
(٤) احمد .

كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك بشيء إلا قد كتبه الله عليك ، جفت الأقلام ورفعت الصحف »(١) ، والحذر الدائم حتى الموت من عدوه إبليس ـ لعنه الله ـ ، الذي أكَّد ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأعراف : ١٦] ، بل أقسم بعزَّة الله ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [ص : ٨٢-٨٣](٢) .

ثالثاً : جهاد الفسّـــاق والظالمين :

وهذا الجهاد هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذي هو وجه الخيرية في هذه الأمة المباركة بعد إيمانها بالله ـ عز وجلَّ ـ ، قال الله ـ جلَّ وعلا ـ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] ،وقال جلَّ شانه : ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج : ٤١] ، وقال رسول الله ـ ﷺ : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِه ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ »(٣) .

رابعاً : جهاد المنافقين :

والنفاق هو إظهار الإيمان مع إسرار الكفر ؛ وإليك ـ أخي الحبيب ـ بعض صفات المنافقين لتعرفهم فتجاهدهم :

(١) إبطان الكفر والتظاهر بالإيمان : قال الله ـ جلَّ وعلا ـ : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [البقرة : ١٤].

(٢) صفة المخادعة : قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ

---

(١) صحيح الجامع. (٢) بدائع الفوائد. (٣) مسلم .

أنفسهم وما يشعرون ﴿٩﴾ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ﴿١٠﴾ ﴾ [البقرة: ٨-١٠]، وقال - جلَّ شانه -: ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ﴿٢٠٤﴾ وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ﴿٢٠٥﴾ ﴾.

[البقرة: ٢٠٤-٢٠٥].

(٣) الامتناع عن التحاكم إلى الله ورسوله وعدم الرضا به: قال الله - تبارك وتعالى -: ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا ﴿٦٠﴾ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا ﴿٦١﴾ ﴾ [النساء: ٦٠-٦١]، وقال - جلَّ شانه -: ﴿ ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ﴿٤٧﴾ وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون ﴿٤٨﴾ وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ﴿٤٩﴾ أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون ﴿٥٠﴾ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ﴿٥١﴾ ﴾[النور: ٤٧-٥١].

(٤) موالاة الكفار وممالأتهم على المسلمين: قال الله - عز وجلَّ -: ﴿ بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما ﴿١٣٨﴾ الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا ﴿١٣٩﴾ ﴾ [النساء: ١٣٨-١٣٩]، وقال - جلَّ شانه -: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴿٥١﴾ فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ﴿٥٢﴾ ويقول الذين آمنوا

أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (٥٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦) ﴾ [المائدة : ٥١-٥٦] .

(٥) **الدَّس والوقيعة وإشعال نار الفتنة بين المسلمين:** قال الله تبارك وتعالى -: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ (١٢) ﴾ [البقرة : ١١-١٢].

(٦) **الجبن الشديد والتخلف عن الجهاد:** قال الله - تبارك وتعالى - : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٤) ﴾ [المنافقون : ٤]، وقال - جلَّ شانه -: ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَئًا أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ (٥٧) ﴾ [التوبة : ٥٧] ، وقال - جلَّ وعلا -: ﴿ لَا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (٤٤) إِنَّمَا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (٤٥) ﴾[التوبة : ٤٤-٤٥].

(٧) **التخذيل والإرجاف والتثبيط:** قال الله - تبارك وتعالى - : ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ(٤٧) ﴾ [التوبة : ٤٧]،وقال - جلَّ شانه - :﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٩) ﴾ [الأنفال : ٤٩] ، وقال - جلَّ وعلا - : ﴿ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ

وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً ﴿١١﴾ ﴾ [الأحزاب : ١٠-١١] .

(٨) **الصدُّ عن سبيل الله وتضليل العباد**: قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [التوبة : ٦٧] .

(٩) **حبُّ إشاعة الفاحشة بين المؤمنين**: قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النور : ١٩] ، وما نراه هذه الأيام في كثير من المجلات والصحف التي تنشر الفاحشة والرذيلة والحوادث قصصاً وصوراً بين المؤمنين ليست عن ذلك ببعيد .

(١٠) **الكذب وخيانة العهد والأمانة**: قال الله ـ سبحانه ـ : ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [التوبة : ٧٥-٧٧] وقال رسول الله ـ ﷺ ـ « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا ؛ إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ »[١] ، وفي رواية « ...وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ... »[٢] ، وعند مسلم « ... وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ » .

(١١) **الكسل في العبادة**: قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لا إِلَىٰ هَٰؤُلاءِ وَلا إِلَىٰ هَٰؤُلاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴿١٤٣﴾ ﴾ [النساء : ١٤٢- ١٤٣] ، وقال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ

---

(١) ، (٢) متفق عليه .

﴿ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [التوبة : ٥٤] .

فهذه ـ أخي الكريم ـ بعض صفات المنافقين لا أكثر الله منهم وأراح المجتمعات الإسلامية منهم ، هؤلاء الذين لم يرضَ الله إلا أن يكونوا في الدرك الأسفل من النار ، فقال ـ سبحانه وتعالى ـ عنهم : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ [النساء : ١٤٥] .

بعض أساليب جهادهم :

[١] الأساليب الوقائية :

(١) مقاطعتهم واجتناب مجالسهم التي يخوضون فيها فيما لا يرضى الله عز وجلَّ ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾[النساء : ١٤٠] .

(٢) معرفتهم ، حيث إنهم مخادعين ، ودراسة صفاتهم من كتاب الله ـ عز وجلَّ ـ وسُنَّة رسوله ـ ﷺ ـ حتى لا تنطلي علينا وسائلهم .

(٣) ترك موالاتهم والتقرب إليهم .

(٤) وضعهم في موضع الشك ، وعدم الثقة بأقوالهم وإشاعاتهم وأراجيفهم ؛ لقول الله ـ جلَّ شأنه ـ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجرات : ٦] .

(٥) الحيلولة بينهم وبين المراكز الهامة في الدولة المسلمة وإخراجهم من الصفوف عند العزم على القيام بأعمال خطيرة ، وخاصة الجهاد لقول الله ـ جلَّ وعلا ـ : ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ﴾ [التوبة : ٨٣].

(٦) صيانة الصف المسلم من التنازع والتدابر والتقاطع ، قال الله تبارك وتعالى :

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) ﴾ [الأنفال : ٤٦] .

(٧) الحرص على رباط الأخوة الإيمانية بين المؤمنين ، ورفعه وتقديمه على كل علاقة أخرى مهما كانت ، « فعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ - رضي الله عنه - قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ - ﷺ - فِي غَزَاةٍ ،فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ : يَا لَلأَنْصَارِ ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ : يَا لَلْمُهَاجِرِينَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : « مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ » قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ ، فَقَالَ : « دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ » فَسَمِعَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ فَقَالَ : قَدْ فَعَلُوهَا ، وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ ، قَالَ عُمَرُ : دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ ، فَقَالَ : « دَعْهُ ، لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ » (١) .

(٨) حُسن الظن بالإخوة المؤمنين وعدم الالتفات إلى ما ينسبه المنافقون إليهم من التهم والفواحش؛ لقول الله - عز وجل - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (١٢) ﴾ [النور : ١١-١٢] .

(٩) الاحتياط والحذر من أهل النفاق عند العزم على اتخاذ إجراءات مهمة والقيام بأعمال خطيرة ، فقد « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - قَلَّمَا يُرِيدُ غَزْوَةً يَغْزُوهَا إِلاَّ وَرَّى بِغَيْرِهَا » (٢) .

[٢] الأساليب العلاجية :

يجب على الفئة المؤمنة أن يجاهدوا المنافقين بما قد ينفعهم أو ينفع بعضهم ويردهم عن غفلتهم وغيهم ، رجاء هدايتهم إلى الحق وصدهم عن الباطل وإنقاذهم من النار ، ولوقاية الفئة المؤمنة من شرهم ؛ **ومن هذه الأساليب :**

---

(١) ، (٢) متفق عليه.

(١) تذكيرهم بعاقبة نفاقهم في الآخرة الذي يزيد على عذاب الكفار المجاهرين مع التبيين لهم أن باب التوبة مفتوح ، لقول الله ـ عز وجلَّ ـ : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً (١٤٥) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً (١٤٦) ﴾ [النساء : ١٤٥ – ١٤٦] .

(٢) تذكيرهم بعلم الله الشامل المحيط وبما تكن صدورهم من النفاق ، وإن أخفوه عن المؤمنين، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (٧٨) ﴾ [التوبة : ٧٨] .

(٣) تذكيرهم بقضاء الله وقدره ، وأن الأمر بيده ـ سبحانه وحده ـ ، قال الله ـ جلَّ شأنه ـ : ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٥٤) ﴾ [آل عمران : ١٥٤] ، وقال ـ عز وجلَّ ـ : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (٥١) ﴾ [التوبة : ٥١] .

ويقول أحد أعلام الدعوة إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ عن منافقي هذا العصر :

وفى عصرنا يوجد كثير من المرتدين الذين لا يوقرون الوحي الإلهي، ولا يعتبرون الشريعة مرجعاً أعلى يضبط الفكر والسلوك والعلاقات، ويحتقرون في قرارة أنفسهم الدين ودعاته وأهله ـ ولكنهم منافقون ـ يريدون أن يظلوا يحملون اسم الإسلام وأن يبقوا في زمرة المسلمين ، وهم شر من منافقي عصر النبوة ، فقد كان أولئك يقومون إلى الصلاة كسالى وهؤلاء لا يقومون إليها ـ لا كسالى ولا نشطين ،

وأولئك كانوا مع المسلمين في غزواتهم يجاهدون معهم أعداءهم ، وهؤلاء مع أعداء الإسلام يحاربون معهم المسلمين ، وأولئك كانوا مع المسلمين في مساجدهم ظاهراً وهؤلاء مع الكفار في مواقع لهوهم وفجورهم،ولو أنهم أعلنوا كفرهم بصراحة لتحدد موقفهم واسترحنا ! ، ولكنهم أمسوا كما قال الله ـ تبارك وتعالى ـ:﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة :٩] (١) ، ولكن الله ـ تبارك وتعالى ـ أبى إلا أن يفضحهم للمؤمنين ويجعل لهم علامة يعرفون بها فقال ـ جلَّ في علاه ـ :﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ [محمد : ٣٠] .

خامساً: جهاد الكافرين :

قال الله ـ تبارك وتعالى ـ :﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) ﴾ [التوبة:١١١] .

وقال ـ جلَّ شأنه ـ :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ (٣٨) إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠) ﴾ [التوبة :٣٨-٤٠] .

وقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي

---

(١) فقه الأولويات .

سَبِيلِ اللّه ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللّه فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّة ، وَأَعْلَى الجَنَّة ، أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّة » ، وفي رواية « وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ»(١) ،وقال أيضاً : « قيام ساعة في الصف للقتال في سبيل الله خير من قيام ستين سَنة »(٢) ، بل «موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود»(٣) ، وهذا الفضل لا يقتصر على الجهاد في البَر فقط بل «غزوة في البحر خير من عشر غزوات في البر ، ومن أجاز البحر فكأنما أجاز الأودية كلها ، والمائد فيه كالمتشحط في دمه »(٤) ، والشهيد لا يقتصر ثوابه عليه فقط بل « يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته »(٥) .

فهل مع هذا الفضل العظيم نتركه ونقعد مع الخالفين ؟ ! فـ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء : ٩٥-٩٦] ، والله منذ أن تركناه ونحن نعيش في ذلٍّ وعذاب فـ« ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب »(٦) .

واعلم ـ أخي في الله ـ أن من بذل نفسه لله بصدق كره بقاءَهُ معها ، لأنه يريد أن يتقبلها الله الذي بُذلت له ولأنه قد قربها له قرباناً ، ومن قرَّب قرباناً فتُقبل منه ليس كمن رُد عليه قربانه، فبقاء نفسه معه دليل على أنه لم يتقبل قربانه،وعباد الرحمن يحتقرون ما زهدوا فيه لله،فإن من امتلأ قلبه بمحبة الله وتعظيمه لا يرى أن ما تركه لأجله من الدنيا يستحق أن يجعل قرباناً ،لأن الدنيا بحذافيرها لا تساوى عند الله جناح بعوضة، فالعبد الصالح لا يرى زهده فيها كبير أمر يُعتد به

---

(١) البخاري . (٢) ،(٣) ، (٤) ، (٥) صحيح الجامع.

(٦) السلسلة الصحيحة.

ويُحتفل له، فيستحي من صح له الزهد أن يجعل لما تركه لله قدراً يلاحظ زهده فيه بل يفنى عن زهده فيه كما فني عنه، ويستحي من ذكره بلسانه وشهوده بقلبه [١] .

وقبولنا البيعة مع الله ـ تبارك وتعالى ـ يحتم علينا الجهاد بكل ما نملك ؛ قال رسول الله ﷺ : « **جاهِدُوا المُشرِكينَ بِأموالِكُمْ وأَنْفُسِكُم وألسِنَتِكُم** » [٢] ، ولم لا نكون في المقدمة ، فإما نصرٌ يُعَزُّ به الإسلام والمسلمون ، وإما شهادة فـ« **أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصف الأول فلا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا ، أولئك يتلبطون في الغرف العُلى من الجنة ، يضحك إليهم ربك فإذا ضحك ربك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه** » [٣] ، و« **للشهيد عند الله سبع خصال ، يُغفر له في أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويُحلى حلة الإيمان ، ويُزوج اثنين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويُجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويشفع في سبعين إنساناً من أهل بيته** » [٤] ، ولعل هذا الفضل العظيم هو الذي جعل رسول الله ﷺ يخبرنا أن « **ما أحدٌ يدخُلُ الجنَّة يُحبُّ أنْ يرجِعَ إلى الدُّنْيَا ولَه ما على الأرضِ منْ شَيءٍ إلاَّ الشَّهيدُ ، يتمَنَّى أنْ يَرْجِعَ إلى الدُّنْيا فَيُقْتَلَ عشْرَ مَرَّاتٍ لِما يرى مِنَ الكرامة** » وفي رواية « **لِمَا يرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ** » [٥] ، ومع هذا الفضل « **ما يَجِدُ الشَّهِيدُ مِن مَسِّ القَتْلِ إلاَّ كما يجِدُ أحدُكُمْ مِنْ مسِّ القَرْصَةِ** » [٦] .

وإن كُنَّا من أصحاب الأعذار وتخلفنا عن الخروج فلا يسعنا إلا أن نُجَهز الخارجين أو نخلفهم في أهليهم فـ« **من جهَّزَ غَازِياً في سبيلِ اللَّه فَقَدْ غَزَا ، ومنْ خَلَفَ غَازِياً في أهْلِه بخَيْرٍ فَقَدْ غزَا** » [٧]، و« **مَنْ سَأَلَ اللَّهَ تعالَى الشَّهَادَة**

---

(١) مدارج السالكين ـ بتصرف .
(٢) صحيح سنن أبي داود.
(٣) ، (٤) صحيح الجامع.
(٥) متفق عليه .
(٦) السلسلة الصحيحة.
(٧) متفق عليه .

بِصِدْقٍ بَلَّغهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهدَاء وإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ »[١] .

و« الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله ، المقتول في سبيل الله شهيد ، والمطعون شهيد ، والغريق شهيد ، وصاحب ذات الجَنْب شهيد ، والمبطون شهيد ، وصاحب الحريق شهيد ، والذي يموت تحت الهدم شهيد ، والمرأة تموت بجمع شهيدة »[٢] ، و« عَنْ أم المؤمنين عائشَةَ ـ رضي الله عنها ـ أنها سَأَلَتْ رسولَ اللَّه ـ ﷺ ـ عَن الطَّاعون « فَأَخبرَهَا أَنَهُ كَانَ عَذَاباً يبعَثُهُ اللَّه ـ تعالى ـ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ، فَجَعَلَهُ اللَّهُ تعالَى رحْمةً للمُؤْمنينَ ، فَلَيْسَ منْ عَبْدٍ يَقَعُ في الطَّاعُون فَيَمْكُثُ في بلَده صَابِراً مُحْتَسِباً يعْلَمُ أَنَّهُ لاَ يُصِيبُهُ إِلاَّ ما كَتَبَ اللَّهُ لَهُ إِلاَّ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ »[٣] .

وقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر ، أو قال : أمير جائر »[٤]، وقال أيضاً: « سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله »[٥] ، ويُفْهَم من الحديثين أن مقاومة الطغيان والفساد الداخلي أرجح عند الله ـ تبارك وتعالى ـ وعند رسوله ـ ﷺ ـ من مقاومة الغزو الخارجي ، لأن الأول كثيراً ما يكون سبباً للثاني ، ولعل هذا هو حجة الإسلاميين الذين يدخلون المجالس النيابية في كثير من الأقطار الإسلامية؛ لقول الحق والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر و ﴿ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف : ١٦٤] ولإقامة حجة الله على خلقه فـ« ... لَيْس أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْه الْعُذْرُ منَ اللَّه ، منْ أَجْلِ ذَلكَ أَنْزَلَ الْكتَابَ وأَرْسَلَ الرُّسُلَ »[٦]، وللعمل على إعادة الخلافة الراشدة للتمكين لدين الله في أرضه ؛ مع مراعاة أنه يجب الاحتراز التام من المداهنة والجلوس بينهم حال تشريع ما لم يُشرِّعه الله أو الاستهزاء بشرع الله ـ عز وجلَّ ـ ، لقوله ـ جلَّ وعلا ـ : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا

---

(١) مسلم (٢) صحيح الجامع (٣) البخاري
(٤) صحيح سنن أبى داود (٥) السلسلة الصحيحة (٦) مسلم

فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ [النساء : ١٤٠] (١) .

هذا مع العلم بأن « من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية ، ولكن يأخذه بيده فيخلوا به ، فإن قبل منه فذاك ... ، وإلا كان قد أدى الذي عليه » [صححه الألباني] .

وجهاد الكافرين في الإسلام يشمل :

جهاد الدفع عن الدين والنفس والعرض والمال والوطن،عن الاعتداء على أي منهم ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ قال في كتابه العزيز : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [البقرة : ١٩٠] ، وقال ـ عز وجل ـ أيضاً : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ ﴾ [البقرة : ٢٤٦] ، وقال الله ـ تبارك وتعالى ـ :﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحج : ٤٠] ، وقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد » (٢) .

ويشمل **جهاد الطلب** وذلك الجهاد للدعوة إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ إذا وقف أحد في سبيلها بصدٍّ من أراد الدخول في دين الإسلام أو منع الدعاة من تبليغ الدين أو تعذيب من آمن ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ

---

(١) والدخول نفسه أمر مباح يقدر بحسب المصالح والمفاسد المترتبة على هذا الدخول ، ويشترط في المنتخب القوة في الإيمان والعلم ـ حتى يجادل عن الحق الذي يحمله ويدعو لترك الباطل ـ وقوة البدن والأمانة ، وإرادة وجه الله تبارك وتعالى والدار الآخرة بهذا العمل لا للدنيا ، ذلك لينصر دين الله ويقاوم الباطل .

(٢) صحيح الجامع .

وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣) ﴾ [البقرة :١٩٣].

لكن هذا الجهاد حالياً له وضعان :

الأول : وذلك عندما لا يكون للمؤمنين سلطان مادي في الأرض ، والجاهلية طامة ، والسلطان المادي بيد أعداء الإسلام ، يحكمون بغير منهج الله ويُشَرِعون ما لم يأذن به الله ، ويوجهون الناس بعيداً عن الله وما رضيَّه للعباد من الأحكام والقيم والأخلاق ـ كما هو الحال الآن ـ وفى هذه الحالة يكون جهاد الكفار بدعوتهم إلى دين الله ـ عز وجلَّ ـ وبيان فساد عقائدهم ومناهجهم ، فساداً في الدنيا بالظلم ، وفى الآخرة بالعذاب والهوان .

الثاني : وذلك عندما يكون للمؤمنين سلطان مادي ودولة في الأرض، فحينئذ يكون جهاد الكفار بالدعوة المدعومة بالسلاح والقوة ، وهذه القوة تستعمل عند امتناع الكفار عن تحقيق مطالب الدعوة الإسلامية،وهى : إما الدخول في الإسلام بالعبودية لله ـ تبارك وتعالى ـ وحده، وإما بترك الصد عن سبيل الله والظلم والعدوان وسياسة الناس بغير ما أنزل الله من الأحكام العادلة المتعلقة بأمور الدنيا. ويكون ذلك بالتخلي عن القيادة والتوجيه والدخول في ذمة المسلمين وترك القيادة للمؤمنين ، فإن لم يقبلوا هذين الأمرين وجب على المؤمنين أن يقاتلوهم بالرجال والسلاح إلى أن تكسر شوكتهم ويوضع حد لشرهم وصدهم [١] .

فدين الإسلام هو إعلان عام لتحرير الإنسان في الأرض من العبودية للعباد ـ ومن العبودية للهوى أيضاً وهي من العبودية للعباد ـ وذلك بإعلان ألوهية الله وحده ـ سبحانه وتعالى ـ وربوبيته للعالمين ..... ذلك أنَّ الحكم الذي مردّ الأمر فيه إلى البشر ، ومصدر السلطات فيه هم البشر ، هو تأليه للبشر ، يجعل بعضهم لبعض أرباباً من دون الله ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ :﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ [يوسف : ٤٠] ،وقال ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿ قُلْ

(١) ومن أراد المزيد فليراجع كتاب زاد المعاد ، الجهاد: ميادينه وأساليبه .

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ .

[آل عمران : ٦٤] .

ومملكة الله في الأرض لا تقوم بان يتولى الحاكمية في الأرض رجال باعيانهم ـ هم رجال دين ـ كما كان الأمر في سلطان الكنيسة ... ولا رجال ينطقون باسم الآلهة ... كما كان الحال فيما يعرف باسم الثيوقراطية أو الحكم الإلهي المقدس ! ـ ولكنها تقوم بان تكون شريعة الله هي الحاكمة ... وأن يكون مرد الأمر إلى الله وفق ما قرره من شريعة مبينة .

وقيام مملكة الله في الأرض ، وإزالة مملكة البشر ، وانتزاع السلطان من أيدي مغتصبيه من العباد ورده إلى الله وحده ... وسيادة الشريعة الإلهية وحدها وإلغاء القوانين البشرية ... كل أولئك لا يتم بمجرد التبليغ والبيان ، لأن المتسلطين على رقاب العباد ، والمغتصبين لسلطان الله في الأرض، لا يسلمون في سلطانهم بمجرد التبليغ والبيان، وإلا فما كان أيسر عمل الرسل في إقرار دين الله في الأرض ! وهذا عكس ما عرفه تاريخ الرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ وتاريخ هذا الدين على ممر الأجيال ! .

إن هذا الدين ليس إعلاناً لتحرير الإنسان العربي! وليس رسالة خاصة بالعرب ! ... إن موضوعه هو الإنسان ... نوع الإنسان ... ومجاله هو الأرض ... كل الأرض ... إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ ليس رباً للعرب وحدهم ولا حتى لمن يعتنقون العقيدة الإسلامية وحدهم ... إن الله هو رب العالمين ... وهذا الدين يريد أن يرد العالمين إلى ربهم ، وأن ينتزعهم من العبودية لغيره . والعبودية الكبرى ـ في نظر الإسلام ـ هي خضوع البشر لأحكام يشرعها لهم ناس من البشر ... وهذه هي العبادة التي يقرر أنها لا تكون إلا لله ، وأن من يتوجه بها لغير الله يخرج من دين الله مهما ادعى أنه في هذا الدين ... ولقد نصَّ رسول الله ـ ﷺ ـ

على أن الإتباع في الشريعة والحكم هو العبادة التي صار بها اليهود والنصارى مشركين مخالفين لما أمروا به من عبادة الله وحده ...

أخرج الترمذي « عن عدي بن حاتم ـ رضي الله عنه ـ أنه لما بلغته دعوة رسول الله ـ ﷺ ـ فرَّ إلى الشام، وكان قد تنصر في الجاهلية، فأُسرت أخته وجماعة من قومه ، ثم منَّ رسول الله ـ ﷺ ـ على أخته فأعطاها ، فرجعت إلى أخيها فرغبته في الإسلام ، وفي القدوم على رسول الله ـ ﷺ ـ فتحدث الناس بقدومه ، فدخل على رسول الله ـ ﷺ ـ وفي عنقه ـ أي عدي ـ صليب من فضة ، وكان النبي ـ ﷺ ـ يقرأ هذه الآية ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾[التوبة : ٣١] ، قال : فقلت : أنهم لم يعبدوهم ، فقال : بلى ! ، **إنهم حرموا عليهم الحلال ، وأحلوا لهم الحرام ، فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم** » .

وتفسير رسول الله ـ ﷺ ـ لقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ نصٌّ قاطع على أن الإتباع في الشريعة والحكم هو العبادة التي تخرج من الدين ، وأنها هي اتخاذ بعض الناس أربابًا لبعض ... الأمر الذي جاء هذا الدين ليلغيه ، ويعلن تحرير الإنسان في الأرض من العبودية لغير الله ...

ومن ثمَّ لم يكن بدُّ للإسلام أن ينطلق في الأرض لإزالة الواقع المخالف لذلك الإعلان العام... بالبيان وبالحركة مجتمعين ... وأن يوجه الضربات للقوى السياسية التي تُعَبِد الناس لغير الله ...ـ أي تحكمهم بغير شريعة الله وسلطانه ـ والتي تحول بينهم وبين الاستماع إلى البيان واعتناق العقيدة بحرية لا يتعرض لها السلطان ... ثم لكي يقيم نظاماً اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً يسمح لحركة التحرر بالانطلاق الفعلي ـ بعد إزالة القوة المسيطرة ـ سواء كانت سياسية بحتة ، أو متلبسة بالعنصرية ، أو الطبقية داخل العنصر الواحد ! .

إنه لم يكن من قصد الإسلام قط أن يُكره الناس على اعتناق عقيدته ... ولكن الإسلام ليس مجرد عقيدة ... إن الإسلام ـ كما قلنا ـ إعلانٌ عامٌ لتحرير

الإنسان من العبودية للعباد ... فهو يهدف ابتداءً إلى إزالة الأنظمة والحكومات التي تقوم على أساس حاكمية البشر للبشر وعبودية الإنسان للإنسان... ثم يطلق الأفراد بعد ذلك أحراراً ـ بالفعل ـ في اختيار العقيدة التي يريدونها بمحض اختيارهم ـ بعد رفع الضغط السياسي عنهم، وبعد البيان المنير لأرواحهم وعقولهم ـ ولكن هذه التجربة ليس معناها أن يجعلوا إلههم هواهم ، وأن يختاروا بأنفسهم أن يكونوا عبيداً للعباد ! وأن يتخذوا بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله !.

والذي يدرك طبيعة هذا الدين ـ على النحو المتقدم ـ يدرك معها حتمية الانطلاق الحركي للإسلام في صورة الجهاد بالسيف ـ إلى جانب الجهاد بالبيان ـ ويدرك أن ذلك لم يكن حركة دفاعية ـ بالمعنى الضيق الذي يفهم اليوم من اصطلاح الحرب الدفاعية كما يريد المنهزمون أمام ضغط الواقع الحاضر وأمام هجوم المستشرقين الماكر أن يصوروا حركة الجهاد في الإسلام ـ إنما كان حركة اندفاع وانطلاق لتحرير الإنسان في الأرض وفي مراحل محددة لكل مرحلة منها وسائلها المتجددة .

وبواعث الانطلاق الإسلامي في الأرض بالجهاد ، هي إعلان عام لتحرير الإنسان من العبودية للعباد، وتقرير ألوهية الله وحده وربوبيته للعالمين... وتحطيم مملكة الهوى البشري في الأرض،وإقامة مملكة الشريعة الإلهية في عالم الإنسان...

ترى لو كان أبو بكر وعمر وعثمان ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ قد أمنوا عدوان الروم والفرس على الجزيرة ، أكانوا يقعدون إذن عن دفع المد الإسلامي إلى أطراف الأرض ؟ وكيف كانوا يدفعون هذا المد ، وأمام الدعوة تلك العقبات المادية من أنظمة الدولة السياسية ، وأنظمة المجتمع العنصرية الطبقية ، والاقتصادية الناشئة من الاعتبارات العنصرية والطبقية والتي تحميها القوة المادية للدولة كذلك ؟! .

لقد كانوا جميعاً يتمثلون قول ربعي بن عامر وحذيفة والمغيرة بن شعبة ، رضي الله عنهم جميعاً لرستم قائد جيش الفرس في القادسية ، وهو يسألهم واحد بعد

واحد في ثلاثة أيام متوالية ، قبل المعركة : ما الذي جاء بكم ؟ فيكون الجواب : إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام . . . فأرسل رسوله بدينه إلى خلقه ، فمن قبله منا قبلنا منه ورجعنا عنه ، وتركناه وأرضه ، ومن أبى قاتلناه حتى نفضي إلى الجنة أو الظفر .

فمن حق الإسلام أن يُخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده . . . ليحقق إعلانه العام بربوبية الله للعالمين ، وتحرير الناس أجمعين . . . وعبادة الله وحده لا تتحقق ـ في التصور الإسلامي وفي الواقع العملي ـ إلا في ظل النظام الإسلامي ، فهو وحده النظام الذي يُشَرِع الله فيه للعباد كلهم ، حاكمهم ومحكومهم ، أسودهم وأبيضهم ، قاصيهم ودانيهم ، فقيرهم وغنيهم ، تشريعاً واحداً يخضع له الجميع على السواء . . . أما في سائر الأنظمة ، فيعبد الناس العباد ، لأنهم يتلقون التشريع لحياتهم من العباد ، وهو من خصائص الألوهية ، فأيما بشر ادعى لنفسه سلطان التشريع للناس من عند نفسه فقد ادعى الألوهية اختصاصاً وعملاً ، سواء ادعاها قولاً أم لم يعلن هذا الادعاء ، وأيما بشر آخر اعترف لذلك البشر بذلك الحق فقد اعترف له بحق الألوهية ، سواء سماها باسمها أم لم يسمها ! [1] .

إخواني الكرام : إن دين الإسلام نور واجب على المسلمين نشره في الأفاق ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [التوبة :٣٢] ، ذلك ليهنأ الناس ـ كل الناس ـ بهذا النور . . . ومن يقف عقبة في سبيل نشر هذا النور لا سبيل إلا جهاده حتى يعم ذلك النور البشرية جمعاء . . . وحق عليه قول رسول الله ﷺ : « . . . **لقد جئتكم بالذَّبح** » يعني إن وقفتم في طريق نشر هذا النور .

---

(١) معالم في الطريق.

الرباط في سبيل الله :

الرباط هو العقد على الشيء حتى لا ينحل ، فيحبس القلب على النية الحسنة والجسم على فعل الطاعة، في كل مكان وفى كل عمل وتخصص من العلوم النافعة للمسلمين للدفاع عنهم،ومرابطة النفس على فعل الطاعات وترك الشهوات،ومن أعظم الرباط وأهمه ـ الجهاد في سبيل الله ـ بملازمة ثغور المسلمين . قال الله ـ تبارك وتعالى ـ:﴿ **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** ﴾ [التوبة:١٢٢].

وقال رسوله ـ ﷺ :« **رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيرٌ مِنْ صِيامِ شَهْرٍ وقيامه ، وَإِنْ مات فيه أجري عليه عملُهُ الَّذي كان يَعْمَلُ وَأُجْرِيَ عَلَيْه رِزْقُهُ وأَمِنَ الفَتَّانَ** »(١) ، بل « **رباطُ يَوْمٍ في سبيلِ اللَّه خَيْرٌ مِنْ أَلْف يَوْمٍ فيما سواهُ مِن المَنازل** »(٢) ، بل « **رباطُ يَوْمٍ في سَبيلِ اللَّه خَيرٌ مِنَ الدُّنْيا وما عَلَيْها ، ومَوضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّة خَيْرٌ من الدُّنْيا وما عَلَيْها ، والرَّوْحةُ يرُوحُها العبْدُ في سَبيلِ اللَّه تعالى أوِ الغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَما عَلَيْهَا** »(٣) .

و« **كُلُّ مَيِّتٍ يُختَمُ على عَمله إلاَّ المُرابِطَ في سَبيلِ اللَّه ، فَإِنَّهُ يُنَمَّى لهُ عَمَلُهُ إلى يومِ القِيامَةِ ويُؤمَّنُ فِتْنة القَبر** »(٤) ، يوضحه الحديث « **كل عمل منقطع عن صاحبه إذا مات إلا المرابط في سبيل الله ، فإنه ينمى له عمله ويجرى عليه رزقه إلى يوم القيامة** »(٥) .

(١) مسلم .

(٢) الترمذي وقالَ حسن صَحيحٌ .

(٣) متفق عليه .

(٤) ابو داودَ والترمذي وقالَ حسنٌ صحيحٌ.

(٥) صحيح الجامع.

نصرة دين الله مع عبده الصالح ـ المهدي ـ

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ عن المهدي : « **المهدي منا أهل البيت ، يصلحه الله في ليلة** »(١) وأخرج نعيم بن حمّاد في كتاب الفتن « ... **يبايعه أول ما يبايعه سبعة من علماء الأمة ، من أفق شتى ، اجتمعوا على غير ميعاد لمبايعة المهدي ، فيبايعونه وهو كاره لذلك ، يفر منهم أكثر من مرة حتى يقولون له : اثمنا عليك ودماؤنا في عنقك إن لم تمد يدك نبايعك ، فيجلس بين الركن والمقام فيمد يده فيبايع له ، فيلقى الله محبته في صدور الناس ، فيصير مع قوم أسد بالنهار رهبان بالليل** » .

وقال أيضاً : « **لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقَ**(٢) ، **فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ ، فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتِ الرُّومُ خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ : لاَ وَاللَّهِ لاَ نُخَلِّى بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا ، فَيُقَاتِلُونَهُمْ فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لاَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَداً ، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لاَ يُفْتَنُونَ أَبَداً ، فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطُنْطِينِيَّةَ ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِى أَهْلِيكُمْ ، فَيَخْرُجُونَ ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ ، فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ خَرَجَ ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ ، فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّهُمْ ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِى الْمَاءِ ، فَلَوْ تَرَكَهُ لاَنْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِى حَرْبَتِهِ** »(٣) .

فالذين ينصرون دين الله ـ عز وجلَّ ـ مع عبده الصالح المهدي هم من خيار أهل

---

(١) صحيح الجامع.

(٢) الأعْماق ودَابِق : موضعان بالشام قرب حلب بسورية .

(٣) مسلم .

الأرض ، أُسْدٌ بالنهار رهبانٌ بالليل ، حتى الذين يُقتلون معه هم أفضل الشهداء عند الله ، إلا الذين ينهزمون فلا يتوب الله عليهم أبداً .

إذاً فلو حرص كل مسلمٍ على تربيةِ نفسه وأبنائه وعشيرته ، وكذا كل مسلمة لو حرصت على تربية أبنائها وتذكير زوجها وعشيرتها ليكونوا رهباناً بالليل أُسْدَ بالنهار ، وعلى الجهاد والثبات والصبر والمصابرة لنصرة دين الله وإخزاء أعداءه لعساهم جميعاً أن يكونوا عند الله من المقربين .

وأعلم ـ أخي الحبيب ـ أنه قد ادَّعى المهدية ـ من قبلُ ـ أناسٌ كثيرون . . . وقد أظهر الله ـ تبارك وتعالى ـ للناس جميعاً بطلان هذا الزعم ـ وربما يدَّعيها أناس بعد ! ـ والمهدي شخص واحد لا يتكرر ، والتصديق بمدَّعي المهدية يستلزم التكذيب بالمهدي الحقيقي ، لذا وجب علينا الفحص والتحري والتثبت قبل قبول دعوى المهدية .

وإليك ـ أخي الكريم ـ مجمل صفات المهدي المنتظر، كما جاءت في الأحاديث :

اسمه محمد بن عبد الله ، من أهل بيت النبي ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ من ولد فاطمة ـ رضي الله عنها ـ ، أجلى الجبهة [١] ، اقني الأنف [٢] ، يُصْلِحه الله ـ عز وجل ـ في ليلة [٣] ، تُملأ الأرض قبل خلافته ظُلْماً وجوراً ، فيملؤها بعد خلافته قسطاً وعدلاً . . . ويُحيي السُنَّة ويطبق شريعة الإسلام ، ويرجع بالأمة إلي ما كان عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ والقرون الثلاثة الفاضلة . . . في العقيدة والسلوك ، وفي العبادة والمعاملة . . . بالوسائل المشروعة ، فتصلح بذلك الحياة . . . ويصلح المجتمع بأسره ، وهو خليفة راشد ، غير معصوم ، ويولد ويظهر في آخر الزمان حيث تكون الأمة أحوج ما تكون

---

(١) أي واسع الجبهة أو منحسر الشعر من مقدم رأسه .

(٢) أي طويلها مع دقة أرنبتها وحدب في وسطها .

(٣) أي يتوب عليه ويوفقُهُ ويلهمه رشده ، ويصلحه للخلافة ويهيئه لها ، ويرفع قدره في ليلة واحدة ، أو ساعة واحدة من الليل ، حيث يتفق علىٰ خلافته أهل الحل والعقد .

إليه ، يملك الأرض سبع سنين أو ثمانية ، يسقيه الله الغيث ، وتخرج الأرض نباتها ، وتكثر الماشية ، وتَعْظُمُ الأمة وتنعم في عهده نعمة لم تَنْعَمْهَا قطُّ ، يُعْطي المال صحاحاً ولا يعده عداً .

وهناك علامات تزيد الأمر تأكيداً ، ومنها خسف بالجيش الذي يخرج لقتال المهدي « **يَغزو جَيشٌ الكعبةَ ، فإذا كانوا بَبيداءَ** [١] **منَ الأرض يُخسَفُ بأوَّلهم وآخرهم ...** » [٢] وعند مسلم « **يَعُوذُ عَائِذٌ بِالْبَيْتِ ، فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ ...** » ومنها خروج الدَّجَّال ـ لعنة الله ـ في زمانه ، ومنها نزول عيسى بن مريم ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ في زمانه ، وصلاة نبي الله عيسى بن مريم خلف المهدي ؛ كما أنه لسيدنا عيسى بن مريم علامتان لا تكونان لغيره من الناس يُعرف بهما ، الأولى : إنه يَقتل الدجال ـ لعنه الله ـ والثانية : إنه « ... **لاَ يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلاَّ مَاتَ ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ ...** » [٣] .

وقد سَئل الإمام سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ سائلٌ فقال : يا أبا عبد الله إن الناس قد أكثروا في المهدي ، فما تقول فيه ؟ ، قال : إن مرَّ على بابك فلا تكن منه في شيء حتى يجتمع الناس عليه .

أخواني الكرام : إنه ليس ضرورياً أن يعلن الرجل المختار لهذه المهمة عن نفسه . . . فالأنبياء والرسل هم الذين يعلنون عن دعوتهم ، لأن من طبيعة **النبوة** الإعلان والإنذار، حتى لا يكون للناس على الله حجة ، وطبيعة **المهدية** تختلف عن طبيعة النبوة ، فالمهدية حركة تجديد وإحياء .

إن العالم في آخر الزمان سيشاهد رجلاً تمثلت فيه صفات الكمال الخُلقي ، وزعيماً تجسدت فيه آمال البعث والإصلاح الديني ، وقائداً تميز بصفات نادرة

---

(١) هي أرض واسعة ملساء بين مكة والمدينة- بالقرب من ذي الحليفة .

(٢) البخاري . (٣) مسلم .

قلَّما تجتمع في شخص عادي ، وعلى ضوء ما يقوم به هـذا الإمامُ الجليل من عمل ، وبقدر ما يحققه للإسلام من عزَّة ، وبالمقارنة بين عصره وبين ما كان قبله من فساد وطغيان وظلم ، وما يتحقق على يديه وفي عصره من إصلاح وصلاح وعدل ، يعرف الناس أنه الرجل المنتظر ، والمهدي الذي يعم عدله جميع البشر[١] .

(١) المهدي وفقه أشراط الساعة ــ بتصرف .

إخزاء عدو الله الدجـــال ـ لعنه الله ـ

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : « يخرج الدجال في خفة من الدين وإدبار من العلم ... »(١) وأخبر : « ... إنه يبدأ فيقول : أنا نبي ، ولا نبي بعدي ، ثم يثني فيقول : أنا ربكم ، ولا ترون ربكم حتى تموتوا ، وإنه أعور وإن ربكم ليس بأعور ... »(٢) .

وقال أيضاً : « يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَتَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ(٣) ـ مَسَالِحُ الدَّجَّالِ ـ فَيَقُولُونَ لَهُ : أَيْنَ تَعْمِدُ ؟ فَيَقُولُ : أَعْمِدُ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ ، قَالَ : فَيَقُولُونَ لَهُ : أَوَ مَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا ؟ فَيَقُولُ : مَا بِرَبِّنَا خَفَاءٌ ! فَيَقُولُونَ : اقْتُلُوهُ ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَداً دُونَهُ ، قَالَ : فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى ـ الدَّجَّالِ ، فَإِذَا رَآهُ الْمُؤْمِنُ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! هَذَا الدَّجَّالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ قَالَ : فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ فَيُشَبَّحُ(٤) ، فَيَقُولُ : خُذُوهُ وَشُجُّوهُ(٥) ، فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْباً ، قَالَ : فَيَقُولُ : أَوَ مَا تُؤْمِنُ بِي ؟ قَالَ : فَيَقُولُ : أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ ، قَالَ فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُؤْشَرُ بِالْمِئْشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّى يُفَرَّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ ، قَالَ : ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : قُمْ ، فَيَسْتَوِي قَائِماً ، قَالَ : ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : أَتُؤْمِنُ بِي ؟ فَيَقُولُ : مَا ازْدَدْتُ فِيكَ إِلاَّ بَصِيرَةً ، قَالَ : ثُمَّ يَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لاَ يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ ، قَالَ : فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ ، فَيُجْعَلُ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوَتِهِ نُحَاساً ، فَلاَ يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلاً ، قَالَ : فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ بِهِ ، فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّمَا قَذَفَهُ إِلَى النَّارِ وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صلى الله عليه

---

(١) مسند أحمد ، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده على شرط مسلم.
(٢) صحيح الجامع.
(٣) المَسَالِحُ : قوم يحملون السلاح.
(٤) يشبح : يُمد على بطنه.
(٥) الشج : الجرح في الرأس والوجه.

وآله وصحبه وسلم : **هَذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ »** (١) .

وقال أيضاً : « ... **يأتي الدَّجالُ ـ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْه أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَة ـ فَيَنْتَهِي إِلَى بَعْضِ السِّبَاخِ الَّتِي تَلِي الْمَدِينَةَ ، فَيَخْرُجُ إِلَيْه يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ هُوَ خَيرُ النَّاسِ ـ أَوْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ ـ فَيَقُولُ لَهُ أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّه ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ حَدِيثَهُ ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ أَتَشُكُّونَ فِي الأَمْرِ ، فَيَقُولُونَ : لاَ ، قَالَ : فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيه فَيَقُولُ حِينَ يُحْيِيه :وَاللَّه مَا كُنْتُ فِيكَ قَطُّ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الآنَ، قَالَ : فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلاَ يُسَلَّطُ عَلَيْهِ »** (٢) ، وفي رواية أخرى « **ذلك الرجل أرفع أمتي درجة في الجنة »** (٣) .

ولعل هذا الرجل الصالح هو الذي يكون سبباً في إظهار هوان شأن الدجال فيغزوه المسلمون فيفتح الله لهم ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : « **تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللَّهُ »** (٤) وقال أيضاً : « **لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل أخرهم المسيح الدجال »** (٥) ، قَالَ نَافِعٌ ـ رحمه الله ـ لا نَرَى الدَّجَّالَ يَخْرُجُ حَتَّى تُفْتَحَ الرُّومُ .

ولكي نتقى فتنة هذا الكذَّاب الدَّجَّال ينبغي علينا جميعاً ـ إخواني الكرام ـ أن نعلم أننا لن ننعم ونسعد برؤية ربنا ـ تبارك وتعالى ـ في هذه الحياة الدنيا ، إنما ذلك في الجنة ـ وهو النعيم الذي ليس بعده نعيم ـ فقد أخبرنا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ فقال : « **تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ حَتَّى يَمُوتَ »** (٦) .

---

(١) مسلم.
(٢) متفق عليه.
(٣) ابن ماجة ، وضعفه الألباني في ضعيف سُنن ابن ماجة.
(٤) مسلم.
(٥) صحيح الجامع.
(٦) مسلم.

واعلم ـ أخي الكريم ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ قد ذكرَ «المسيحَ الدّجّال ـ لعنه الله ـ فأطنبَ في ذكرِهِ،وقال: ... **إن ربكم ليسَ بأعور ، وإنه أعورُ العينِ اليمنى كأنَّ عينَهُ عنبةٌ طافية** ... »[(١)] وعند مسلم « ... **مَمْسُوحُ الْعَيْنِ ، عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ** ... » وعند البخاري « ... **مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كافر** » وعند مسلم « ... **ثُمَّ تَهَجَّاهَا كَ ف رَ ... أي كافر** » وزاد مسلم أيضاً « **يَقْرَؤُهُ مَنْ كَرِهَ عَمَلَهُ ، أَوْ يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ ، كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ** » .

وفي رواية أخرى عند مسلم أن « **الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى** ... » وفي صحيح سنن أبي داود أنه « ... **رجل قصير ، أفحج**[(٢)] ، **جعد**[(٣)] ، **أعور مطموس العين ، ليس بناتئه ولا حجراء**[(٤)] ، **فإن ألبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور** » وفي الحديث المتفق عليه أنه « ... **رَجُلٌ جَسِيمٌ ، أَحْمَرُ ، جَعْدُ الرَّأْسِ ، أَعْوَرُ الْعَيْنِ ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ**[(٥)] ... » وفي مسند الإمام أحمد « ... **عينه اليمنى ممسوحة الحدقة جاحظة فلا تخفى ، كأنها نخاعة في جنب حائط ، وعينه اليسرى كأنها كوكب دري** ... »[(٦)] .

وبالجمع بين الروايات يمكن أَنْ تَكُون الْمَطْمُوسَة وَالْمَمْسُوحَة والجَاحِظَة والتي ليست بجحراء ولا ناتئة هِيَ الْعَوْرَاء الطَّافِئَة ـ بِالْهَمْزِ ـ **أَيْ الَّتِي ذَهَبَ ضَوْؤُهَا وَهِيَ الْعَيْن الْيُمْنَى** ، وَتَكُون الجاحظة الخضراء الَّتِي **كَأَنَّهَا كَوْكَب دري وَكَأَنَّهَا نُخَاعَة فِي حَائِط هِيَ الطَّافِيَةَ** ـ بالياء ـ **هِيَ الْعَيْن الْيُسْرَى** ، **مَا جَاءَ فِي الرِّوَايَة**

---

(١) متفق عليه .

(٢) أفحج : مِنْ الْفَحَج وَهُوَ تَبَاعُد مَا بَيْنَ السَّاقَيْنِ أَوْ الْفَخِذَيْنِ ، وَقِيلَ : تَدَانِي صُدُور الْقَدَمَيْنِ مَعَ تَبَاعُد الْعَقِبَيْنِ ، وَقِيلَ : هُوَ الَّذِي فِي رِجْله اِعْوِجَاج .

(٣) شديد جعودة الشعر .

(٤) أي ممسوحة ليست بناتئة ولا منخسفة ولا مُتَصَلِّبَة .

(٥) طَافِيَةٌ أيْ ظاهرة ناتئة نُتُوء حَبَّة الْعِنَب مِنْ بَيْن أَخَوَاتهَا وقد ذَهَب ضَوْؤُهَا، وَقَد ضَبَطَهُ بَعْض الشُّيُوخ بِالْهَمْزِ، اي طَافِئَة ، وهي التي ذهب نورها ، فَقَدْ جَاءَ فِي رواية أَنَّهُ مَمْسُوح الْعَيْن مَطْمُوسَة وَلَيْسَتْ جَحْرَاءَ وَلَا نَاتِئَة ، وَهَذِهِ صِفَة حَبَّة الْعِنَب إِذَا سَالَ مَاؤُهَا ، وَهُوَ يُصَحِّح رِوَايَة الْهَمْز .

(٦) كأنها كوكب دري ، كناية عن شِدَّة اتِّقَادهَا .

الأُخْرَى ، وَعَلَى هَذَا فَهُوَ أَعْوَر الْعَيْن الْيُمْنَى وَالْيُسْرَى مَعًا ، فَكُلّ وَاحِدَة مِنْهُمَا عَوْرَاء - أَيْ مَعِيبَة - فَإِنَّ الأَعْوَر مِنْ كُلّ شَيْء الْمَعِيب - وكلا عَيْنَيْ الدَّجَّال مَعِيبَة ، فَإِحْدَاهُمَا عَوْرَاء مَعِيبَة بِذَهَاب ضَوْئِهَا بِمَا أَصَابَهَا حَتَّى ذَهَبَ إِدْرَاكهَا ، وَالأُخْرَى بِنُتُوئِهَا وَأَصْلِ خَلْقهَا مَعِيبَة ، فَيَكُون الدَّجَّال أَعْمَى أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ (١) .

أما ربنا - جلَّ وعلا - فإنَّه ﴿ ... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] لا في جمال وجلال ذاته ، ولا في كمال صفاته .

وقد علَّمنا رَسُولُ اللّه - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - أن نستعيذ بالله - عز وجلَّ - من هذا الدَّجَّال الكذاب - لعنه الله - ابتداءً ، فعَنِ عبد الله بْن عَبَّاس - رضي الله عنهما - أَنَّ رَسُولَ اللّه - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الدُّعَاءَ كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآن ، يَقُولُ : **قُولُوا : اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَاب جَهَنَّمَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَاب الْقَبْر ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَة الْمَسِيح الدَّجَّال ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَة الْمَحْيَا وَالْمَمَات** » (٢) وفى رواية أخرى أن هذا الدعاء يقال بعد الانتهاء من التشهد فعَنْ « أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ : **قَالَ رَسُولُ اللّه - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللّه مِنْ أَرْبَعٍ ، يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَاب جَهَنَّمَ ، وَمِنْ عَذَاب الْقَبْر ، وَمِنْ فِتْنَة الْمَحْيَا وَالْمَمَات ، وَمِنْ شَرّ فِتْنَة الْمَسِيح الدَّجَّال** » (٣) ، وقال أيضاً : « **مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَات مِنْ أَوَّل سُورَة الْكَهْف** - وفى رواية - **مِنْ آخِر الْكَهْف ، عُصِمَ مِنَ الدَّجَّال** » (٤) .

وقد أرشدنا الرسول الكريم - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - إلى السُكنى في الحرمين الشريفين - مكة والمدينة - بالإضافة إلى بيت المقدس والطور، وذلك للوقاية من فتنة ورعب هذا الدَّجَّال الكذاب - لعنه الله - فقال : « **لا يَدْخُلُ**

---

(١) فتح الباري - بتصرف .
(٢) مسلم .
(٣) متفق عليه .
(٤) مسلم .

المدينةَ رُعبُ المسيحِ الدَّجالِ ، لها يومئذٍ سبعةُ أبوابٍ على كل بابٍ مَلَكان » (١) ، وعند مسلم « لاَ يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ وَلاَ مَكَّةَ « وفى حديث آخر » ... وإنه لا يقرب أربعة مساجد ، المسجد الحرام ، ومسجد الرسول ، ومسجد المقدس ، والطور ... » (٢) .

أما « من سمع بالدجال فلينأ عنه ، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات أو لما يبعث به من الشبهات » (٣) .

أما من أدركه فليعتصم بالله رب العالمين ، ويتوكل عليه ويستعيذ به من شر هذا الدجال الكذاب وليثبت ، لينجيه الله ـ تبارك وتعالى ـ ، كما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : « إِنَّ من بَعْدكُمْ الْكَذَّابَ الْمُضلَّ ، وَإِنَّ رَأْسَهُ من بَعْده حُبُكٌ حُبُكٌ حُبُكٌ ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، وَإِنَّهُ سَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ ، فَمَنْ قَالَ لَسْتَ رَبَّنَا ـ وفى رواية كذبت - لَكنَّ رَبَّنَا اللَّهُ عَلَيْه تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْه أَنَبْنَا ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّكَ ، لَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهِ سُلْطَانٌ » (٤) .

وليقرأ عليه أوائل سورة الكهف كما أوصانا رَسُولُ اللّه ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ بقوله : « ... مَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ ، فَعَاثَ يَمِيناً وَعَاثَ شِمَالاً ، يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاثْبُتُوا ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الأَرْضِ ؟ قَالَ : أَرْبَعُونَ يَوْماً ، يَوْمٌ كَسَنَةٍ ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ ، وَسَائِرُ أَيَّامِه كَأَيَّامِكُمْ ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلاَةُ يَوْمٍ ؟ قَالَ : لاَ ، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الأَرْضِ ؟ قَالَ : كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ ، فَتَرُوحُ (٥) عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ (٦) ، أَطْوَلَ

---

(١) البخاري . (٢) السلسلة الصحيحة . (٣) صحيح سنن أبي داود.

(٤) مسند أحمد ، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابيه .

(٥) تروح : أي ترجع آخر النهار . (٦) السارحة : هي الماشية التي تسرح أول النهار إلى المرعى.

مَا كَانَتْ ذُرًا(١) ، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعاً(٢) ، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ(٣) . ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا : أَخْرِجِي كُنُوزَكِ ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ(٤) ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلاً مُمْتَلِئاً شَبَاباً ، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَ ... فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ ، فَيَقْتُلُهُ ...»(٥) ، (٦) وفي رواية أخرى عند مسلم أيضاً «... فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللَّهِ ، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ - أي بيد عيسى بن مريم - فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ» .

ولأن الله - تبارك وتعالى - جعله فتنة للناس ، فإنه «... يَجِيءُ مَعَهُ مِثْلُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا الْجَنَّةُ هِيَ النَّارُ...»(٧) وعند مسلم بزيادة «... فَنَارُهُ جَنَّةٌ ، وَجَنَّتُهُ نَارٌ» وَمَثَلُ الجنة والنار هذه «... مَاءً وَنَاراً ، فَنَارُهُ مَاءٌ بَارِدٌ ، وَمَاؤُهُ نَارٌ ، فَلَا تَهْلِكُوا»(٨) وفي رواية «... مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ ، أَحَدُهُمَا رَأْيَ الْعَيْنِ مَاءٌ أَبْيَضُ ، وَالْآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ نَارٌ تَأَجَّجُ ...»(٩) يوضحه «... فَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ مَاءً فَنَارٌ تُحْرِقُ ، وَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ نَاراً فَمَاءٌ بَارِدٌ

---

(١) الذرى : الأعالي. (٢) أسبغه : أطوله لكثرة اللبن.

(٣) أمده خواصر: أطوله لكثرة امتلائها من الشبع .

(٤) يعاسيب النحل : أي ذكورها أو جماعة النحل . (٥) مسلم.

(٦) ومعنى قول رسول الله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : «... اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ ...» أنه إذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر كل يوم فصلوا الظهر ، ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر فصلوا العصر ، وإذا مضى بعد هذا قدر ما يكون بينها وبين المغرب فصلوا المغرب ، وكذا العشاء والصبح ، ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب وهكذا . . . حتى ينقضي ذلك اليوم، وقد وقع فيه صلوات سنة فرائض كلها مؤداة في وقتها ، وأما الثاني الذي كشهر ، والثالث الذي كجمعة ، فقياس اليوم الاول أن يقدر لهما كاليوم الاول على ما ذكرناه ، والله أعلم . صحيح مسلم بشرح النووي .

(٧) متفق عليه . (٨) متفق عليه . (٩) مسلم.

عَذْبٌ ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذلكَ منكُمْ فَلْيَقَعْ في الَّذي يَرَاهُ نَاراً ـ وفي رواية ـ وَلْيُغَمِّضْ ، ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ أو فَإِنَّهُ مَاءٌ عَذْبٌ طَيِّبٌ » (١) .

وفي رواية أخرى « ... وإن من فتنته أن معه جنة وناراً ، فناره جنة وجنته نار ، فمن ابتلي بناره فليستغث بالله وليقرأ فواتح الكهف فتكون برداً وسلاماً كما كانت النار على إبراهيم ، وإن من فتنته أن يقول للأعرابي أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك ، فيقول : نعم،فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه ، فيقولان : يا بني اتبعه فإنه ربك . . . وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر ، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت ؛ وإن من فتنته أن يمر بالحي فيكذبونه فلا يبقى لهم سائمة إلا هلكت ؛ وإن من فتنته أن يمر بالحي فيصدقونه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه وأمده خواصر وأدره ضروعاً . . . وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد ، يصيب الناس فيها جوع شديد ، يأمر الله السماء السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها ، ويأمر الأرض أن تحبس ثلث نباتها ، ثم يأمر السماء في السنة الثانية فتحبس ثلثي مطرها ، ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها ، ثم يأمر السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله فلا تقطر قطرة ، ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله فلا تنبت خضراء ، فلا يبقى ذات ظلف ـ وفي رواية ـ ولا ذات ضرس من البهائم إلا هلك (ويكفي المسلمون يومئذ) التهليل والتكبير والتحميد ، ويجزئ ذلك عليهم مجزأة الطعام » (٢) .

وإن كان النبي ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ كما عند أحمد والحاكم ، قد أخبر أن « ... أكثر تبعه اليهود والنساء ... » إذاً فلنعلِّم نسائنا ما يتقينَ به من شر هذا الدجال الأشر ، ولنحبسهم عنه ، وليكن أكثر أتباعه من اليهود

---

(١) مسلم
(٢) صحيح الجامع.

ونساء غير المسلمين .

أما ذلك الرجل الصالح العالم بربه وبصفاته العلا ، والموقن بذلك ، والذي يبين للناس شأن هذا الكذَّاب الكافر الأعور ، شديد جعودة الشعر ، ويظهر زيف دعواه على الملأ ، فما أسعده وما أهنئه بدرجته عند ربه ـ جلَّ وعلا ـ فهو « ... **أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ** » وهو « ... **خَيْرُ النَّاسِ ـ أَوْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ ...** » ولعله يكون « ... **أرفع أمتي درجة في الجنة** » بل وما أسعد أبويه الَّذين توليا تربيته على الدين والتقى والصبر والثبات حتى في أحلك المواطن ، وأعظم وأجل من ذلك عرَّفاه بربه الكريم ، العلي العظيم،الجميل الذات والصفات والفعال، وأن كل صفاته في الغاية من الحسن ولا يدانيها أي صفات لأحد سواه .

ولا يفوتنا أن نُذكر أن بني تميم كما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : « ... **هم أشدُّ أُمَّتي على الدَّجّال ...** »[1] ، وعند مسلم « **هُمْ أَشَدُّ النَّاسِ قِتَالاً فِي الْمَلاَحِمِ** » وأعظم الملاحم وأكبرها طبعاً هو قتال الدجال ، لذا وجب علينا حُب بني تميم كما قال أبو هريرةَ ـ رضي الله عنه ـ راوي الحديث : « **لا أزالُ أُحبُّ بني تميمٍ ...** » لـ« **ثَلاَثٌ خِصَالٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ** ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ **فِي بَنِي تَمِيمٍ** » ، ونحذوا حذوهم ونقاتل بجانبهم الدجال ـ لعنه الله ـ وأعوانه .

(١) متفق عليه .